قصة قصيرة

مهنا سيد عبدالرحمن

طرف خيط

الجزء الأول

بعينيه الثاقبتين أعاد المحقق مراد سراج الدين مشاهدة ذلك الفيديو الذي انتشر كالنار في الهشيم عبر الأثير على جميع وسائل التواصل الاجتماعي، وقد شاهده الملايين خلال الساعات القلائل الماضية رغم كونه لا يتعدى بضع دقائق، قبل أن يصل إليه بشكلٍ رسمي ليبدأ التحقيق في محتواه، فيديو يوثق جريمة قتلٍ غامضة، أمسك بقدح القهوة الساخنة خاصته يتناول منه رشفه، قبل أن يبدأ المشاهدة للمرة الرابعة ثم ضغط زر التشغيل، لتظهر أمامه صورة لشخصٍ يقف بظهره، يرتدي عباءة واسعة بقلنسوة يضعها على رأسه، تخفي تماماً كل أجزاء جسده فلا يمكن الجزم إن كان رجل أو امرأة، في مكان مغلق شبه خالي، إضاءته خافته بالكاد تظهر ذلك الجسد الملقى على الأرض يزحف في وهن وهو يتأوه محاولاً الفرار قبل أن يهوي القاتل على رقبته بسكين ضخم فيسمع صوت حشرجة قوية يتزامن معها تدفق نافورة من الدماء بعدها سكن جسد القتيل عن الحراك واختفى صوته إلى الأبد، ثم عاود القاتل فعلته وهوي بالسكين لمرات متتالية على أجزاء متفرقة من جسد القتيل وعلى حين غرة شعر بالمصور فاستدار ناحية الكاميرا بحركة مفاجأة، ليظهر لأجزاء من الثانية وجهه الملثم الذي لا يتضح شيء من معالمه سوى عيناه، قبل أن تسقط الكاميرا من يد صاحبها -والتي يظهر جلياً من جودة التصوير أنها كاميرا هاتف محمول- فتهتز الصورة ثم ينتهي الفيديو.

زفر مراد في ضيق بالغ، ثم مال برأسه ناحية مساعده آدم صلاح يقول في ضجر:

-"ماذا لو كان فيديو مفبرك لكسب المشاهدات لا أكثر"

هز آدم رأسه نافياً وهو يقول في إصرار:

-" لقد أرسلناه بالفعل إلى المختصين وتم التحقق من كونه حقيقي إنه توثيق لجريمة قتلٍ عمد!"

حك مراد ذقنه وهو يعقب بقوله:

-"ولكن كيف؟ فالأمر غير منطقي على الإطلاق، إذا افترضنا أن هناك شخص اكتشف الجريمة وقام بتصويرها وعرف القاتل بذلك فهذا يعني شيئين، أولاً أن من صور ذلك الفيديو قد لحق بالقتيل، وثانياً أن الفيديو قد انتهى إلى الأبد لأن القاتل

سيتخلص منه حتماً، إلا لو تمكن المصور من الهرب، وهذا يطرح سؤال آخر، لماذا قام المصور بنشر الفيديو ولم يسلمه للشرطة ويبلغ عن الحادث؟"

مط آدم شفتيه في حيرة وقال في تردد:

-"ربما يخشى أن يتورط في الأمر"

-"من السهل معرفة مصدر الفيديو ومن وراء نشره على مواقع التواصل"

قالها المحقق مراد في ثقة، فتنحنح آدم محاولاً مواراة توتره كونه على وشك الإفصاح عن خبر غير جيد:

-"فعلنا ذلك بالفعل لكن تعذر علينا الوصول إلى مصدره فقد تم إرسال الفيديو إلى عدد من مشاهير "السوشيال ميديا" في الوقت ذاته من حساب مجهول، وهم من قاموا بنشره لكسب المشاهدات وتسببوا في انتشاره على هذا النحو الكثيف"

صمت ثواني قبل أن يستطرد متعجباً:

-"ما يثير حيرتي، بل جنوني حقاً هو ما الغرض الحقيقي من نشر هذا الفيديو؟ مع أن القاتل لا يظهر منه أي شيء قد يدل على هويته، وكذلك القتيل الشيء الوحيد الذي يتضح في الفيديو أنه رجل من هيئة جسده، لكن لا يمكن الاستدلال على ملامحه أو معرفة من يكون، إذن إلى ماذا يهدف ناشر الفيديو؟"

تلاقى حاجبي مراد في ضيق وسافر عقله في رحلة برفقة كم من الأسئلة مجهولة الإجابة!

****

طال انتظار فرح كثيراً، ترقرقت عيناها بالدموع وهي تنظر إلى الساعة وقد باتت تشير إلى العاشرة مساءً، وجعلت تغمغم محدثة نفسها:

-"كيف تجرؤ على فعل هذا بي في يومٍ كهذا تعلم كم انتظرته طويلاً"

نطقت عبارتها وهي تجز على أسنانها في غيظٍ شديد وعقلها يعيد ذكرى كل شيء من البداية....

خمس سنوات انقضت منذ تزوجت خالد لم يرزقا فيهم بأبناء، وبعد استشارة الكثير من الأطباء تأكدوا أن لا أمل لفرح في الإنجاب!

فرح تلك الفتاة الحنونة الطيبة التي لم يكن لها من اسمها نصيب يذكر، عاشت يتيمة الأم والأب منذ صغرها وانتقلت للعيش مع عمتها سلوى وزوجها القعيد عزت، فقد تعرض ذلك الأخير لحادث أفقده القدرة على المشي للأبد، حياتها معهم كانت بائسة، صعبة ومملة للغاية، حتى بعد وفاة عزت، فعمتها سلوى لم تكن امرأة عادية، بل كانت قاسية القلب حادة الطباع، عانت فرح كثيراً في حياتها معها إلى الحد الذي جعلها تكرهها وتطوق لليوم الذي ستتزوج فيه لتخرج من بيتها وتبتعد عنها، وبالفعل كان ظهور خالد في حياتها هو طوق النجاة الذي انتظرته طويلاً لكن فرحتها لم تكتمل وقد عرفت بأنها لن تكون أماً أبداً، حاولت إقناع خالد بفكرة التبني لكنه رفضها تماماً، وأخبرها مراراً بأنه سعيد بحياته معها وليس في حاجة لأطفال، حتى فاجأها منذ فترة برغبته في الزواج ليرزق بطفل، حينها انهار العالم في عينيها وغضبت منه غضباً شديداً وطلبت الطلاق، فما كان منه إلا أن تراجع عن رغبته وفعل كل ما بوسعه لتسامحه لكن الأمر لم يكن سهلاً عليها، فعانت علاقتهما من توتر شديد حتى أخبرها بأنه موافق على أن يتبنيا طفل، حينها فقط سامحته ونسيت كل ما حدث تماماً، وبدأت رحلتها في البحث عن الطفل المنشود، ترك خالد لها أمر اختيار الطفل، وبعد رحلة مضنية بين دور الأيتام اتخذت قرارها أخيراً بتبني الطفل "علي" ذو الستة أشهر، واتفقت مع خالد على الذهاب لرؤيته اليوم، سيكون اللقاء الأول بينهما، لكن خالد تأخر كثيراً، كان الموعد الساعة الثامنة وقد تجاوزت الآن العاشرة ولم يأتِ بعد!

هاتفه مغلق ولم يتصل بها، حاولت الاتصال به مراراً دون جدوى فاتصلت بصديقه المقرب زياد والذي كان يحاول محادثته هو الآخر منذ ساعات بلا فائدة، أثار اتصالها قلقه كثيراً فقرر البحث عنه بنفسه، وبعد مرور عدة ساعات اتصل بها زياد وطلب منها طلباً غريباً للغاية، طلب منها رقم عمتها سلوى لأمرٍ ضروري حاولت أن تفهم السبب لكنه رفض إجابتها بدعوى أنه على عجلةٍ من أمره والوقت غير مناسب سيخبرها لاحقاً، استسلمت لطلبه وأرسلت له الرقم كما طلب وألف سؤال يعتصر عقلها!

أشار عقرب الساعة المعلقة على الحائط إلى الثانية عشر صباحاً، والوضع كما هو عليه لا شيء تغير، لم يظهر خالد حتى الآن ولم يخبرها زياد ما الذي يجري، وقد نال القلق من أعصابها، وفجأة رن جرس المنزل، ركضت فرح نحو الباب تنظر من العين السحرية في ترقب وبداخلها قلب قد ارتفعت خفقاته من فرط التوتر، اتسعت عيناها في دهشة واختلج جسدها رغماً عنها، فتراجعت إلى الخلف بخطواتٍ وئيدة وكأن عقلها قد شُل عن التفكير، ثم تقدمت نحو الباب وفتحته وجانب فمها يرتجف رغماً عنها وقد احتبست الكلمات في حلقها، تلاقت عيناها مع تلك النظرات النارية المطلة من عيني عمتها سلوى الضيقتين اللتان تسكنان أعلى عظام وجنتيها البارزة، شعرت فرح بأن ملامح عمتها تغيرت على نحوٍ ما بدت أشد قسوة وغلظة من المعتاد، أثارت في نفسها شعوراً عميقاً بالخوف لم يزرها منذ فترة أعاد إليها ذكريات كانت قد بذلت جهداً خرافياً لتتناساها، لم تنتظر سلوى حتى تتعافى فرح من حالة الذهول الممزوج بالهلع التي تعتريها، فدفعت باب الشقة بقدمها لتفسح مكاناً للدخول، وبخطواتٍ هادئة دخلت إلى الشقة دون أن تنبس ببنت شفة ومعها حقيبة كبيرة، فهمت فرح ما تنوي فعله فشعرت برأسها يدور والأرض تموج من تحت قدميها وعقلها يرفض كلياً تلك الفكرة، لكنها بذلت كل ما في وسعها لتتمالك أعصابها وتعود للداخل بعد أن أغلقت باب الشقة، خطت بخطوات ثقيلة تجر قدميها إلى حيث تجلس عمتها سلوى، والتي بادرتها بقولها:

-"سأبقى معك حتى نعرف أين اختفى خالد"

ثم حدجتها بنظرة طويلة شحب لها وجه فرح وتراجعت الدماء منه وقد أدركت تماماً ما الذي تعنيه تلك النظرة!

الجزء الثاني

الرابعة صباحاً....

رن جرس الباب، فارتجف جسد فرح وتنبهت حواسها دفعة واحدة وكانت قد غفت لتوها من فرط التعب، ألقت نظرة خاطفة على الساعة، وهي تركض باتجاه باب المنزل تنظر من العين السحرية لتجده زياد، اتسعت عيناها وبيد مرتجفة فتحت الباب وهي تحدق في ملامح وجهه الذي تقلص وبدا شاحب للغاية، نظر إليها نظرة تحمل مزيجاً من الحزن والشفقة ارتعدت لها أوصالها قبل أن يسألها في خفوت:

-" عمتك سلوى هنا؟"

-"نعم إنها نائمة"

-"أيقظيها من فضلك أود التحدث مع كلاكما"

ضاعف طلبه من شعور الهلع الذي يجتاحها واستدارت إلى الخلف متجهة نحو الغرفة التي تنام بها سلوى وهي تقول بصوتٍ مرتجف:

-"تفضل بالدخول يا زياد"

دخل إلى الشقة وأغلق الباب في هدوء وجلس على الكرسي المجاور للباب في انتظارهما، ما أن وصلت فرح إلى باب غرفة سلوى حتى وجدتها تخرج وحدها وقد أيقظها جرس الباب، همست فرح تخبرها عن وجود زياد، فرمقتها بتلك النظرة المتجهمة ذاتها دون تعقيب قبل أن يتحركا نحوه، تابعهما بناظريه حتى اقتربتا ثم أشار إليهما لتجلسا، ازدرد ريقه في صعوبة ثم بادرهما قائلاً:

-"لا أدري حقاً ماذا أقول؟! فلا يزال عقلي رافضاً تصديق ما يحدث، أقلقني اختفاء خالد كثيراً، بحثت عنه في كل مكان قد يذهب إليه، سألت كل أصدقائنا المشتركين، لم يره أحد بالأمس مطلقاً، حتى أنه لم يذهب إلى عمله"

قاطعته فرح في دهشة:

-"ماذا؟ لقد أخبرني بأنه ذاهب للعمل وسيأتي قبل الثامنة لنذهب معاً إلى دار الأيتام، ونزل من المنزل نحو العاشرة صباحاً"

مط زياد شفتيه في حيرة وهو يجيبها:

-"لا زلنا نجهل ما حدث يا فرح، المؤكد أنه لم يصل إلى العمل، استعنت بأحد أقاربي يعمل في المباحث ليساعدني في البحث عنه، ثم أثار شكه بلاغ قدمه شخص عثر على جثة مقطعة بداخل أكياس وُجدت في مكب قمامة، في منطقة لا تبعد كثيراً عن مكان عمل خالد، فاصطحبني معه إلى هناك لأراها"

توقف زياد عن الحديث محاولاً التماسك ثم تابع بصوت محشرج:

-" لقد كان هو يا فرح! لم أصدق عيناي وأنا أنظر إلى وجهه الملطخ بالدماء لكني أجبرت نفسي على النظر أكثر من مرة لأتحقق مما أراه، حتى تأكدت من أنه خالد بالفعل!"

صرخت فرح كالمجنونة، وجعلت تلطم وجهها وتنوح مناديه باسم خالد، بينما لم تبد سلوى أية رد فعل تذكر سوى أنها ساعدت فرح على الجلوس حينما سقطت أرضاً من كثرة العويل، سالت دموع زياد في صمت وهو يشعر بالعجز أمام ذلك الحزن الجارف الذي ليس بيده فعل شيء للتخفيف منه، فقال في هدوء:

-" لا يزال هناك الكثير من الأسئلة والتحقيقات التي ستبدأ خلال ساعات، أردت إخباركما لتستعدا"

ثم وجه حديثه إلى فرح:

-"حاولي تذكر كل التفاصيل التي من الممكن أن تساعد في معرفة الفاعل"

لم يعرف إن كانت فرح قد سمعت حرفاً مما قاله، لكن سلوى أومأت برأسها إيجاباً في تفهم قائلة:

-"شكراً على كل شيء يا زياد، يمكنك الانصراف الآن لترتاح قليلاً قبل بدء التحقيقات"

ألقى زياد نظرة أخيرة عليها في تأثر شديد، وقال وهو يستعد للمغادرة:

-"سآتي غداً لأبقى معكما أثناء التحقيق"

قالها وغادر تاركاً فرح في حالة يرثى لها وسلوى تجلس بجوارها في هدوء عجيب ترمقها بذات النظرة المبهمة!

****

أعاد المحقق مراد قراءة الملاحظات التي دونها بالأمس أثناء معاينته لتلك الجثة المقطعة والتي لولا وجود الرأس لكان سيصعب كثيراً التعرف على صاحبها، ويده تضغط زر تشغيل ذلك الفيديو لمرة إضافية، طرقات على الباب شتتت تركيزه تصاحبها عبارة:

-"السيدة فرح أرملة المجني عليه وصلت يا فندم"

-"دعها تتفضل"

قالها مراد وهو يشير بيده إليه ليسمح لها بالدخول، سبق دخولها بلحظات مساعده آدم الذي حياه بإيماءةٍ من رأسه وهو يتجه نحو كرسيه المجاور لمكتب المحقق مراد، دخلت فرح ومعها عمتها سلوى تساعدها على المشي وقد أفقدتها الصدمة قدرتها على التوازن، كانت تبدو أصغر سناً بكثير مما توقع مراد بجسدها الهزيل وملامحها الناعمة، تنحنح مراد وقال في تأثر:

-"البقاء لله سيدة فرح"

أجابته بصوتٍ متهدج من كثرة البكاء:

-"ونعم بالله" تساقطت دموعها الحارة رغماً عنها، صمت مراد لوهلة ليمنحها الفرصة للتماسك قليلاً قبل أن يتابع:

-" أريدك أن تخبريني تفاصيل كل ما حدث البارحة قبل خروج خالد من المنزل وحتى عرفتي الخبر"

أطلقت زفرة حارة قبل أن تروي له بالتفصيل كل ما حدث والذي لم يكن فيه أي إضافة على قدر من الأهمية، حتى أخبرته عن موعدهما مع دار الأيتام لتبني طفل، سألها بنبرة تحمل قدراً من الدهشة والاستغراب:

-" إذا كان قد مر على زواجك من خالد خمس سنوات كما ذكرتِ للتو وقد عرفتي بعدم قدرتك على الإنجاب منذ السنة الأولى، فلماذا اتخذتما قرار التبني الآن تحديداً؟!"

حكت له فرح عن تلك المشكلة التي كانت سبباً في موافقة خالد على رغبتها الآن بعد رفضه سابقاً، استغرق في تفكير دام نحو دقيقة قبل أن يسألها في تردد حرصاً على مشاعرها:

-" هل ارتبط فعلياً بامرأةٍ أخرى أم أنه أخبركِ برغبته في الزواج بشكلٍ عام؟"

احتقن وجه فرح وقد مزق سؤاله نياط قلبها وأجابته في حزنٍ بالغ:

-"لا أعلم! كان هذا ما أخبرني به فقط ولم أُتح له الفرصة لقول شيءٍ بعدها، انتابتني نوبة غضبٍ هادر وظللت أصرخ وأتشاجر معه وطلبت الطلاق فوراً، لكنه لم يتحمل رؤيتي على تلك الحال وظل يحاول تهدئتي والاعتذار مني، فسارعت بالذهاب إلى غرفتي وأغلقت الباب بالمفتاح وبقيت فيها حتى اليوم التالي، ثم بقيت على موقفي أرفض كلياً كل محاولاته للاعتذار والتي استمرت لأسابيع قبل أن يخبرني بموافقته على تبني الطفل حينها فقط سامحته"

تبادل آدم نظرة ذات مغزى مع مراد الذي تابع بسؤالها:

-" اعذريني سيدة فرح، ولكن أليس من الغريب أن تطلبي الطلاق ومع ذلك تبقي في المنزل لأسابيع؟ اعتقد أن المنطقي في حالةٍ كهذه هو ذهابكِ إلى منزل عمتك والبقاء عندها حتى يتم حل المشكلة أو يتم الطلاق بناء على رغبتك"

حانت نظرة غير مفهومة من سلوى ناحية فرح أصابتها بارتباكٍ شديد لم يخفَ على مراد ملاحظته، قبل أن تجيبه:

-"أنا أحب خالد كثيراً وأعلم أيضاً أنه يحبني، كل ما أردت فعله هو تهديده والضغط عليه ليتراجع عن رغبته، لم أكن جادة في طلب الطلاق مطلقاً"

أومأ برأسه في تفهم، ثم تابع سماع باقي أحداث اليوم حتى أخبرها زياد بالخبر المشئوم، سألها مستفهماً:

-"ولماذا اخترت زياد تحديداً لتطلبي منه البحث عن خالد، لماذا لم تطلبي ذلك من أحدٍ من أهله؟"

أجابته قائلةً:

-"خالد كان وحيد والديه ليس له إخوة، رحل والده وهو صغير ثم لحقت به والدته قبل زواجنا بنحو عامين، أنا لم أرها مطلقاً، وليس له أية علاقة تذكر بخاله أو أعمامه، لذلك لم يكن أمامي سوى زياد صديقه المقرب منذ الطفولة ويعرف عنه كل شيء تقريباً"

اكتفى مراد بذلك القدر من الأسئلة، وسمح لها بالانصراف تقديراً للتعب الواضح عليها على أن يتم استدعاءها لاستكمال التحقيق عند الحاجة لذلك، تابعها بنظره حتى غادرت المكتب وأُغلِق الباب، بادره آدم في عجلة:

-" هل تعتقد وجود امرأة أخرى في حياته قد أزعجها قراره بالبقاء مع زوجته فقررت الانتقام منه؟"

مط مراد شفتيه في حيرة وهو يغمغم:

-"كل شيء وارد يا آدم، قتله وتقطيعه على ذلك النحو يشي برغبة القاتل في الانتقام"

قالها وهو يضغط زر تشغيل الفيديو ويدقق النظر فيه، قال آدم:

-"أنت تميل كثيراً لكون خالد هو القتيل في الفيديو؟ لكن لا شيء يؤكد ذلك"

-"نعم أنت محق، ولا شيء ينفي أيضاً، هو احتمال قائم حتى الآن، الإضاءة في الفيديو ضعيفة لا تساعد على التعرف على الضحية، لكن شيء ما بداخلي يشعرني بأنه خالد"

أخذ مراد نفساً عميقاً وهو يدقق النظر في الفيديو أملاً في ملاحظة شيء قد يؤكد شكوكه دون جدوى، ثم استطرد قائلاً:

-"سننتظر تقرير الطب الشرعي، وأريد مراجعة سجل اتصالاته في الاسبوع الأخير، وتابعوا البحث عن هاتفه، أعتقد أن هناك العديد من المفاجآت لازالت في انتظارنا، أما الآن فأريد التحقيق مع زياد صديقه"

-"إنه في الخارج ينتظر أمرك بالدخول"

-"دعه يأتي"

***

جلس زياد على الكرسي المقابل لمراد يحاول الحفاظ على رباطة جأشه فهي المرة الأولى التي يعيش فيها موقفاً كهذا، سأله مراد في جدية:

-" كنت أقرب صديق لخالد أليس كذلك"

أثارت كلمت "كنت" حزناً عميقاً في قلب زياد فأجابه بأعين دامعه:

-"نعم كان بمثابة أخي نحن أصدقاء منذ الطفولة منذ ما يقارب العشرون عاماً"

-"هل كانت له عداوات مع أي أحد"

أجابه زياد في حماس:

-" نهائياً، خالد شخص مسالم للغاية ومحب لكل من حوله"

-" أنت على علمٍ بمشكلته مع السيدة فرح ورغبته بالزواج من أخرى لغرض الإنجاب أليس كذلك؟!"

أومأ زياد برأسه إيجاباً، فتابع مراد:

-"أجبني بصراحة يا زياد هل كانت هناك امرأة أخرى في حياته؟!"

شحب وجه زياد وداهمت وجهه ملامح الضيق الشديد وهو يجيبه:

-" إنه سره الذي لا يعرفه أحد سواي، أرجوك ألا تخبر فرح بما سأقوله لك، فهي لن تتحمل معرفة ذلك"

ازدرد ريقه ثم تابع في خفوت:

-"نعم كانت هناك امرأة أخرى في حياته، بل كانت خطيبته بالفعل حتى الآن ولم يتركها مطلقاً، لقد خدع كلاهما!"

الجزء الثالث

"لقد خدع كلاهما!"

ارتفع حاجبي مراد في دهشة بينما اقترب آدم أكثر من زياد ينصت إليه في اهتمامٍ شديد وهو يتابع حكايته:

-"مليكة! هي من غيرت كل شيء في حياة خالد، قلَب ظهورها كيانه، انضمت للعمل في نفس الشركة التي يعمل بها منذ فترة قريبة لكن في قسم مختلف، وكانت رغبته في الزواج منها لحبه لها وليس للإنجاب فقط كما أخبر فرح، لكنه أيضاً يحب فرح ويشعر بالمسئولية تجاهها لذلك لم يتحمل أن يخسرها أو يؤذيها، ومن ناحيةٍ أخرى لم يكن ليترك مليكة وقد سلبته قلبه وتخيل حياته المستقبلية معها بين أولادهما، ولذلك قرر خداع كلاهما!

سيمنح فرح ما تريده، طفل تتبناه وتفرح بوجوده معها ويشغلها عنه، ويخبر مليكة بأنه منفصل عن زوجته وليس لديه أولاد، وذلك سيجعلها توافق على الارتباط به، وبالفعل خطبها منذ قرابة الشهرين وكان يخطط للزواج منها خلال الأشهر القادمة"

قاطعه آدم:

-"لكن أن تعرف مليكة بكونه لا يزال مع زوجته أمر في غاية البساطة، يكفيها سؤال بواب العمارة مثلاً لتتحقق من ذلك، ألم يطلب أهلها زيارته ورؤية منزله طيلة الشهرين؟"

-"بالطبع فعلوا، وكان خالد يستقبلهم في شقة والديه الخالية، بعد أن جدد فرشها وجعلها جاهزة لاستقبالهم وأقنعهم بأنه يعيش فيها بعد انفصاله عن زوجته، واتفق مع البواب على أن تكون تلك هي الرواية التي سيقولها إذا سأله أحد عن ذلك، ولم يكن يتحدث مع أحدٍ في عمله عن حياته الشخصية مطلقاً، وبالفعل نجح تماماً في اقناع والد مليكة بانفصاله عن زوجته وكان كل شيء يسير على أتم وجه"

مط مراد شفتيه في إعجاب وهو يعقب على حديث زياد:

-"لم يكن سهلاً ذلك الخالد، هل عرفت مليكة بخبر موته؟"

هز زياد رأسه إيجاباً وهو يجيبه:

-"نعم أخبرتها قبل أن آتي إلى هنا مباشرةً"

-"علينا استدعاؤها هي الأخرى إذن"

قالها مراد موجهاً حديثه إلى آدم فتحرك ذلك الأخير مسرعاً لتنفيذ طلبه!

****

جلست فرح على سريرها تحتضن صورة زفافها هي وخالد وتبكي في حرقة وصوت نشيجها يتردد صداه في أرجاء المنزل بأكمله، فتحت سلوى باب الغرفة ودخلت بخطواتٍ بطيئة ثم جلست بجوارها على السرير ترمقها بتلك النظرات المبهمة التي يرتعد لها جسد فرح، مسحت تلك الأخيرة دموعها وازدردت ريقها وهي تقول في لطفٍ مصطنع:

-"شكراً لكِ على تعبك معي منذ الأمس بإمكانك العودة إلى منزلك، لا تقلقي سأكون بخير وأستطيع تدبر أموري وحدي"

اتسعت حدقتا سلوى على نحوٍ مفزع وهي تقول متجاهلة كل ما قالته فرح:

-"قتلته أليس كذلك؟ تخلصتِ منه عقاباً له على ما فعله بك، هنيئاً لكِ سترثين الكثير..."

قاطعتها فرح وهي تصرخ كالشاة المذبوحة:

-"ماذا تقولين؟ أنتِ امرأة مجنونة، تظنين أن كل البشر بلا قلبٍ مثلك؟! أعلم جيداً ما فعلتيه بعمي عزت، لم يكفيك سنوات من معاملتك المهينة له وشتمه وضربه، مستغلةٌ مرضه وعجزه وقلة حيلته، بل وصل بك الجنون إلى التلاعب بجرعات أدويته وتعذيبه حتى الموت!

نعم أعلم أنكِ قتلته وحاولتُ مساعدته أكثر من مرة، لكني كنت أضعف من مواجهتك، حتى فات الأوان ورحل إلى الأبد! ثم أتقنتِ أمام الجيران دور الزوجة المكلومة في زوجها المسكين، فما كان من طبيب الحي إلا أن سارع إلى خدمتك واستخراج شهادة الوفاة وإنهاء إجراءات الدفن دون أن يخطر على بال أحد أن تكون الوفاة غير طبيعية أو بالأحرى أنه قد مات مقتول!"

اتسعت ابتسامة خبيثة على شفاه سلوى وهي تقول في تحدي:

-"كان يستحق كل ما فعلته به، أنت لا تعرفين كيف كان يعاملني قبل ذلك الحادث، كل ما في الأمر أنني اقتصصت منه لا أكثر، ولا يهمني مطلقاً ما تعرفينه تأخر الوقت كثيراً ليقلقني ذلك، ويبدو أنك قد تعلمتِ مني الدرس جيداً"

أنهت عبارتها ودخلت في وصلة ضحك هيستيرية، ارتعدت لها كل ذرة في كيان فرح فظلت تدفعها خارج الغرفة وهي تصرخ في انفعالٍ جارف:

-"اخرجي من منزلي أيتها المجنونة لا أريد رؤيتك ثانيةً في حياتي أنا أكرهك هل تسمعين؟! أكرهك من كل قلبي"

ثم خارت قواها وسقط وعيها في هوةٍ سحيقة لا قرار لها!

****

وصل آدم إلى منزل مليكة، ليجد الباب مفتوحاً والمنزل مكتظ بالناس، نساء يتشحون بالسواد يلتفون حول شابة تنوح دون توقف، لم يكن من الصعب التكهن بكونها مليكة، وعدد قليل من الرجال يقفون بالقرب منهم، تنحنح آدم قبل أن يقول بنبرةٍ جادة:

-"المحقق آدم صلاح، من المباحث الجنائية"

التفتوا نحوه جميعهم في الوقت ذاته، وتوقفت الفتاة عن البكاء للحظات وأدارت وجهها باتجاهه تطالعه في ذهول، فزياد لم يخبرهم بما حدث لخالد، اكتفى فقط بإبلاغهم بخبر موته، وكان ينوي زيارتهم بعد انتهاء التحقيق ليخبرهم بتفاصيل ما حدث، سارع عبد التواب والد مليكة باستقبال آدم والاستفسار عن سبب وجوده في منزله، فأجاب باقتضاب:

-"تعرض خالد رحمه الله للقتل، ونريد التحقيق مع الآنسة مليكة"

صاحت مليكة في هلع:

-"قتل؟ خالد قتل؟ كيف وأين ولماذا؟"

نظر لها آدم في إشفاق:

-"لا زلنا نجهل الكثير عما حدث له، لذلك نريد منك مساعدتنا لنصل إلى الجاني"

زاغت عينا مليكة وقد رفض عقلها تصديق ما تسمعه أذنيها، قال والدها في ضيق واضح:

-"أريد رؤية جثمان خالد والتحقق من كونه هو بنفسي أولاً، ومن ثم إنهاء مراسم دفنه وبعد الانتهاء من ذلك سأحضر مليكة إليكم لتحققوا معها كيف شئتم"

أومأ آدم برأسه إيجاباً في تفهم، ثم غادر برفقة عبد التواب إلى المشرحة حيث يرقد جثمان خالد في انتظار الإذن بدفنه.

شعر عبد التواب بالغثيان وهو ينظر إلى ذلك الجثمان المقطع على نحوٍ مفزع، وجعل يردد:

-"لا إله إلا الله، إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمك الله يا ولدي"

انتظر آدم بعض الوقت حتى يتمالك عبد التواب أعصابه قبل أن ينزل على مسامعه بالصاعقة التالية:

-"هناك شيء آخر عليك أن تعرفه" تنحنح في توتر قبل أن يقول في خفوت:

-"خالد رحمه الله كان لا يزال مع زوجته لم ينفصل عنها كما أخبركم"

انطلقت من حلق عبد التواب شهقة فزعٍ ممزوجة بالذهول وقبل أن يعقب بحرف، أضاف آدم:

-"وزوجته لا تعرف شيئاً عن ارتباطه بابنتك لذلك أرجو منك إنسانياً ألا تتواجد في مراسم دفنه وعزاءه ولا تخبرها بشيء يخص ابنتك، فهي في حالة يرثى لها ولن تستفيد شيء من إخبارها رحل خالد وانتهى الأمر"

حدق فيه عبد التواب لبرهة وهو عاجز تماماً عن استيعاب ما يحدث، قبل أن يقول:

-"كيف ذلك؟! يا إلهي! ماذا فعلت بابنتي، لقد صدقته ووثقت فيه بعد أن سألت عليه في عمله وعمارته التي يسكن فيها، والكل أجمع على كونه رجل محترم وخلوق، والآن يفترض أن أمنع ابنتي من حضور جنازته مراعاة لمشاعر زوجته؟! بالتأكيد كل ما يحدث ليس إلا كابوس سأفيق منه في أية لحظة"
زفر آدم في أسف ثم قال محاولاً مساعدته:

-"أتفهم ما تمر به الآن لكن إخفاء الأمر عن مليكة من مصلحتها أيضاً يكفيها صدمة واحدة الآن"

تنهد عبد التواب في حزن غامر وعقله يبحث عن مخرج من تلك الورطة التي قد تدفع ابنته ثمنها غالياً!

****

تم دفن جثمان خالد بعد ان أنهى أطباء الطب الشرعي تشريح جثته، تولى زياد تنظيم كل شيء، حضرت فرح الدفن ومعها عمتها التي ظلت ترافقها طوال الوقت، وقد كانت فرح بالكاد تقوَ على الحراك، تعيش حالة من الوهن الشديد الناجم عن الصدمة من تلك الأحداث المفزعة.

بينما منع عبد التواب ابنته من حضور دفن خالد حتى لا تقابل زوجته وقام بالذهاب بمفرده، كان يريد رؤية فرح بنفسه دون أن يفصح عن هويته أو يتحدث معها مطلقاً، رق قلبه لحالها لازالت شابة صغيرة السن، واكتفى بعمل عزاء صغير في منزله يحضره معارفهم وجيرانهم، متحججاً بكون خالد ليس له أقارب مقربين يقومون بعمل عزاءٍ له.

****

وصل آدم إلى مكتب مراد مسرعاً بعد أن اتصل به واستدعاه للحضور على الفور فقد عثر أطباء الطب الشرعي على شيء بالغ الأهمية معلق بثياب خالد لم يشأ مراد الإفصاح عن ماهيته خلال الاتصال.

دخل آدم المكتب وصدره يعلو ويهبط وهو بالكاد يسيطر على أنفاسه المتلاحقة، ليجد مراد يجلس خلف مكتبه يتدلى من بين أصابع يده المغطاة بقفاز بلاستيكي رقيق، فردة واحدة من قرط ذهبي على شكل حرف باللغة الإنجليزية، رفع مراد يده ليراه آدم بوضوح وهما يتبادلان نظرات ذات مغزى فقد كان ذلك الحرف هو حرف ال "M"!

الجزء الرابع

أعاد مراد قراءة تقرير الطب الشرعي لجثة خالد على مسامع آدم والذي كان منغمساً بكل جوارحه فيما تتلقاه أذناه من معلومات، كان أهم ما ورد فيه:

- وقت الوفاة: قرابة الساعة الثالثة والنصف مساءً
- سبب الوفاة: قطع شرايين الرقبة
- أداة الجريمة: آلة حادة (سكين)
- تم تقطيع الجسد بمنشار كهربائي
- لا بصمات على الجثة
- أثر تناول جرعة كبيرة من المهدئات في الدم
- ملابس القتيل اختلطت فيها الدماء بالأتربة مما يؤكد جرها على الأرض
- وجه القتيل به سحجات وكدمات ودماء ممزوجة بالتراب
- عُثر على قرط ذهبي متشابك مع أنسجة قماش قميصه من الداخل

غمغم مراد وهو يتابع ذلك الفيديو:

-" كل ما ورد في التقرير لا يتعارض مع ما تم تصويره في الفيديو، بل على العكس تماماً، إن صح افتراضي فجرعة المهدئات تفسر ثقل حركة القتيل وعدم قدرته على الفرار كما يظهر في الفيديو، لنعيد سرد الحكاية من أولها حسب رواية فرح:

غادر خالد المنزل الساعة العاشرة صباحاً متجهاً إلى عمله كما أخبرها، وتم قتله الساعة الثالثة والنصف عصراً في مكانٍ لا زلنا نجهله، ثم عُثر على جثته المقطعة في العاشرة إلا ربع مساء بمكب قمامة يفصله عن مكان عمله نحو عشرون دقيقة ، نحتاج لمعرفة أين كان خالد من الساعة العاشرة صباحاً وحتى الثالثة والنصف عصراً؟!"

صمت مراد مستغرقاً في التفكير وهو يحك ذقنه بيده قبل أن يستطرد قائلاً:

-" أريد تقرير شركة الاتصالات في أسرع وقت، فاحتمال العثور على هاتف خالد يبدو مستحيلاً"

أجابه آدم في حماس:

-"سيكون بين يديك في غضون ساعات"

-"جيد! كما أريد مراجعة سجل هاتف فرح، والتحقق من مغادرتها المنزل في ذلك اليوم"

أومأ آدم برأسه إيجاباً وعقب قائلاً:

-"لقد أخبرتنا أنها ذهبت لشراء لعبة هدية للطفل الذي كانت تنوي تبنيه، من محل في نفس الشارع الذي تسكن فيه، وبالفعل ذهبنا للمحل وتحققنا من كاميرات المراقبة، وثبت أنها دخلته نحو الساعة السادسة والنصف وخرجت منه في السابعة إلا بضع دقائق"

سأله مراد:

-"أريدك أن تسأل بواب العمارة عما إذا كانت قد غادرت منزلها لأي سبب آخر في ذلك اليوم"

-"لم تفُتني تلك النقطة أيضاً سيد مراد، لقد حققت معه وأخبرني أنه لم يرها تخرج سوى قرب الساعة السادسة والنصف فقط، وكانت قد طلبت منه شراء بعض الأغراض نحو الساعة الخامسة والنصف، اشتراها وأعطاها لها بالفعل مما يؤكد تواجدها بالمنزل، فهي لا تعمل ولا تغادر منزلها صباحاً مطلقاً إلا برفقة خالد حسب أقوال البواب، وبالنسبة لسجل مكالمات هاتفها فسيكون مرفقاً بتقرير سجل مكالمات خالد"

أمسك مراد كراسة ملاحظاته الشخصية، وأخذ يردد على مسامع آدم ما يخص تحقيقه مع زياد:

"حاول زياد الاتصال بخالد أكثر من مرة بدءاً من الساعة الثانية، لكنه لم يجبه، مما أثار قلق زياد الذي كان في محل عمله -حسب روايته- في ذلك الوقت، كرر المحاولة مِراراً بلا جدوى، فقام بمحادثة أحد أصدقائهما المشتركين اسمه يحيى والذي يعمل مع خالد في الشركة ذاتها، فأكد له أنه لم يحضر إلى العمل اليوم، ظن أنه بصحبة مليكة ولا يريد أن يزعجه أحد، حتى ورد إلى زياد اتصال فرح قرابة الساعة السابعة بعد أن يئست من الوصول إلى خالد، كان زياد على علم بموعد دار الأيتام وقد أثار ذلك استغرابه كثيراً فلم يكن خالد ليتأخر عن موعدٍ كهذا، فبدأت تساوره الشكوك، أرسل رسالة إلى مليكة يسألها فيها عن خالد، لكنها لم تجبه رغم

تأكده من قراءتها لرسالته، فقرر البحث عنه بنفسه، بعد الكثير من الاتصالات بأشخاص مقربين من خالد، والتنقل بين الأماكن التي أعتاد التردد عليها أيقن زياد أن اختفاء خالد غير طبيعي وينذر بشيء سيء، فاتجه إلى صديقه ضابط المباحث لتبدأ رحلة بحث من نوع مختلف، وحينما عرفوا عن ذلك البلاغ بالعثور على جثة في مكب القمامة، شعر زياد بغصة في قلبه وسارع بالاتصال بفرح وأخذ منها رقم هاتف سلوى ليطلب منها البقاء مع فرح تحسباً لما هو قادم، بعد ذلك اتجه برفقة صديقه ضابط المباحث إلى مكان العثور على الجثة وتعرف عليها وتأكد من كونها جثة خالد، وبعد أن تم نقله إلى المشرحة ذهب إلى فرح ليخبرها"

أنهى مراد حديثه وصمت لوهلة قبل أن يوجه سؤالاً إلى آدم:

-"هل هناك ما أثار انتباهك في تلك الحكاية؟!"

أومأ برأسه إيجاباً وهو يرد قائلاً:

-"نعم نقطتين، الأولى أن زياد يعرف كل شيء تقريباً عن خالد وهو شيء مثير للشك، قد يكون هناك ما يخفيه عنا، مثلاً ما سبب اتصاله بخالد الساعة الثانية ظهراً والمفترض أن كلاً منهما منشغل في عمله؟!

والنقطة الثانية تخص مليكة لماذا لم تجب سؤال زياد عن خالد؟"

مط مراد شفتيه وهو يغمغم:

-" سأعيد التحقيق مع زياد ثانية، ولكن بعد وصول تقرير مكالمات هاتف خالد والتحقق من روايته، كما نحتاج إلى زيارة الشركة التي كان يعمل بها خالد، أما الآن

فقد حان وقت التحقيق مع مليكة فهي المشتبه به الرئيسي حتى الآن خاصة بعد العثور ذلك القرط الذهبي الذي يحمل الحرف الأول من اسمها!"

****

دخلت مليكة إلى مكتب المحقق مراد برفقة والدها عبد التواب، كان جسدها يرتجف على نحوٍ ملحوظ، وعيناها غائرتان من كثرة البكاء ووجهها شاحب، يساعدها والدها على السير حتى جلست على الكرسي المقابل لمراد، الذي بادرها بقوله:

-"البقاء لله آنسه مليكة، أعلم أن الموقف صعب للغاية عليكِ لكن أريد منك التركيز جيداً وعدم إغفال أية تفاصيل مهما كانت تبدو لك غير مهمة"

وافقته بإيماءة بسيطة من رأسها ثم نظرت إلى والدها الجالس على الكرسي المجاور لها في قلق واضح، فربت على يدها محاولاً طمأنتها وتشجيعها على الحديث، طرح مراد سؤاله الأول:

-"متى آخر مرة رأيتِ فيها المرحوم خالد"

أثارت عبارته عميق الحزن في نفسها فسرت في جسدها قشعريرة باردة من أثر سماع تلك الكلمة التي لم يستوعبها عقلها بعد، ازدردت ريقها وأجابته بصوتٍ مرتجف:

-" كان في زيارتنا الليلة السابقة للحادث وغادر منزلنا نحو الساعة العاشرة والنصف، ولم أره بعدها ثانية"

عقب عبد التواب مؤكداً حديثها:

-"نعم بالفعل غادر منزلنا قرابة الساعة العاشرة والنصف"

تابع مراد:

-"هل ذهبتِ للعمل يوم الحادث"

بدا الارتباك على وجهها وهي تجيبه:

-"نعم"

-"متى تحديداً؟"

-"في الوقت المعتاد التاسعة صباحاً"

-"ومتى غادرتِ؟"

-"في الخامسة مساء"

-"هل خرجت من الشركة لأي سبب خلال تلك الفترة"

-"لا لم أفعل"

-"هل كانت هناك أي عداوات أو مشاحنات بين خالد وأحد من زملائه في العمل؟"

فكرت قليلاً قبل أن تجيبه في تردد:

-"لا أعتقد أنه من الممكن وصفها بالعداوات، مجرد جدالات العمل المعتادة"

-"من أكثر الأشخاص الذين يتجادل معهم؟"
مطت شفتيها في حيرة:

-"لا أعرف تحديداً فأنا لا أعمل معه في نفس القسم، لكن أذكر أنه قد حكى لي عن مشكلات بينه وبين مديره سليم لم يكونا على وفاقٍ تام، لكنها في النهاية مجرد مشكلات صغيرة معتادة في بيئة العمل لا أكثر"

وعلى حين غرة أمسك مراد بالقرط الذهبي ووضعه أمامها على الطاولة وهو يطرح سؤاله مصحوباً بنبرة اتهام واضحة:

-" هل هذا القرط لكِ آنسة مليكة؟!"

شحب وجهها على نحوٍ ملحوظ وقبل أن تفتح فمها لتجيبه جاءت الإجابة من والدها حادة قاطعة وعصبية أيضاً:

-"لا ليس لها ولم تره من قبل!"

لم تستطع مليكة إخفاء تلك النظرات المذعورة التي تُطل من عينيها وهي تنظر إلى والدها في خوفٍ ممزوج بالارتباك، بينما تظاهر ذلك الأخير بالثقة والثبات، قال مراد محذراً وقد فهم ما يجري:

-"تذكر يا سيد عبد التواب أن أية معلومات خاطئة ستقوم بالإدلاء بها أثناء التحقيقات ستعرضكما للمساءلة القانونية وستضع مليكة في دائرة الاشتباه، فهي تعتبر تضليل للعدالة"

ازدرد عبد التواب ريقه وأجاب في إصرار:

-"نعم أعلم ذلك!"

رمقه مراد بنظرةٍ حادة ثم طلب مراجعة سجل مكالمات هاتف مليكة، التي تراجعت الدماء من وجهها تماماً هذه المرة وجعلت يدها ترتجف على نحوٍ لافت وهي تعطيه

لآدم الذي فحصه بدقة، ليجد آخر مكالمة جرت بينها وبين خالد كانت في الثانية عشر صباحاً، الليلة السابقة للحادث بعد مغادرته منزلها حسب روايتها هي ووالدها، ثم فتح الرسائل ليتحقق من رسالة زياد التي لم تجب عليها، ليجدها صحيحة بالفعل، سألها آدم باستغراب:

-"لماذا لم تجيبي على زياد حينما سألك عن خالد؟"

تبدلت ملامحها وهي تجيبه بامتعاض:

-"لأنني لا أحبه ولا أرتاح لوجوده في حياة خالد، فهو شخص خبيث يتظاهر بحبه لخالد لكن الحقيقة أنه يستمتع باستغلاله والسيطرة عليه، وخالد لا يشعر بذلك كونه يفتقد وجود الإخوة والعائلة فلا يتردد في إخباره عن كل صغيرة وكبيرة في حياته واستشارته في أدق التفاصيل، ولم يكن ذلك ليعجبني مطلقاً طلبت منه مراراً أن يبقي كل ما يخصنا بعيداً عن علاقته بزياد ويضعه في منزلة الصديق لا أكثر، لكنه كان مصر على جعله في مثابة الأخ الأكبر، لذلك أنا أبغضه كثيراً، وتعجبت من جرأته ليرسل لي تلك الرسالة يسألني فيها عن خالد؟! كيف يتجرأ على مراسلتي هكذا؟ اعتبرته تجاوز غير مقبول وما كنت لأجيبه أبداً، بل أنني كنت أنوي الحديث مع خالد في هذا الموضوع لكن القدر لم يمهلني لفعل ذلك"

شعر مراد بصدق حديثها هذه المرة، حتى أنه تضاعف شكه بكون هناك ما يخفيه زياد فسألها في ترقب:

-"هل كانت هناك معاملات مالية بينهما"

احتقن وجهها وهي تجيبه:

-"لم أشأ الخوض في تلك النقطة لكنك أنت من سألت، نعم قبل ارتباطنا أنا وخالد كان زياد يعتمد بشكل كبير على مساعدة خالد المادية له، لكني نجحت في تغيير تلك النقطة على الأقل، فانخراطنا في تجهيزات الزواج أجبرت خالد على تقليل تلك المساعدة كثيراً، حتى أن زياد قد طلب منه سلفه عاجلة منذ فترة لكن خالد رفض ذلك تماماً لاحتياجنا للمال في الوقت الحالي، وأثار ذلك غضب زياد كثيراً وتشاجر مع خالد وتخاصما لأيام، لكن قلب خالد الطيب وحبه الشديد لزياد جعله لا يتحمل ذلك الخصام طويلاً وقام بمصالحته لكن لم يعطه المبلغ الذي طلبه على الرغم من

ذلك قبل زياد الصلح فليس من مصلحته أبداً أن يخسر خالد، أنا على يقين أنه كان سيعيد طلب المال بعد فترة أعرف جيداً مدى خبثه"

غمغم مراد في خفوت:

-" لكن ذلك يخرج زياد من دائرة الاشتباه إلى حدٍ كبير فموت خالد ليس من مصلحته مطلقاً"

صمت لوهلة ثم استطرد وهو يرمقها بنظراتٍ متشككة:

-"حسناً آنسه مليكة بإمكانك الانصراف وإذا كان لديك أي شيء تحبين قوله الآن أو لاحقاً فلا تترددي في إخباري"

أومأت برأسها موافقة وغادرت برفقة والدها، لكنهما لم يكادا يغادران مكتب مراد، حتى دخل أمين الشرطة يحل في يده ملف أعطاه لذلك الأخير، وهو يقول في وجل:

-"التقرير الخاص بسجل مكالمات القتيل"

فتحه مراد وجعل يقرأه في نهم، لتتسع عيناه في دهشه ثم لاح على شفتيه شبح ابتسامة وهو يخاطب آدم قائلاً:

-"كما توقعتُ تماماً، الآنسة مليكة كاذبة!"

الجزء الخامس

دوار شديد يجتاح رأسها بعد أن فقدت الوعي ثانية، أصبح تكرار ذلك الأمر يشعرها بالقلق خاصةً مع الشعور بالخدر التي يسري في جسدها وعقلها المشتت فقد باتت بالكاد تقوَ على التركيز فيما يجري من حولها، دخلت سلوى الغرفة وهي تحمل في يدها صينية الطعام، وجلست بجوار فرح الراقدة على سريرها، رمقتها تلك الأخيرة بنظرات زائغة وهي تقول في وهن:

-" ما الذي حدث لي؟"

أجابتها سلوى في برود:

-"لا تخافي ستكونين بخير أنتِ في حاجة للمزيد من الراحة لا أكثر، وعليكِ إنهاء طعامك حتى يقوَ جسدك وتستطيعين التعافي"

هزت فرح رأسها باستسلام ثم جعلت تأكل، تركتها سلوى تنهي طعامها وغادرت الغرفة، ثم عادت تحمل في يدها مشروباً ما أن وقعت عينا فرح عليه حتى بدأ عقلها رغم الغمامة التي تحيط به يعي ما يحدث!

****

"الآنسة مليكة كاذبة!"

قالها مراد وهو يعطي تقرير الاتصالات لآدم، الذي تلقفه بلهفه وجعل يتفحصه في فضول، عثر على مكالمة بين خالد ومليكة الساعة العاشرة واثنتي عشرة دقيقة صباح يوم الحادث، أي بعد مغادرته منزله حسب رواية فرح، وبالطبع ذلك الاتصال لم يكن له أثر في سجل مكالمات هاتف مليكة، مما يؤكد أنها قد حذفته عمداً، ثم مكالمة أخرى واردة من مليكة الساعة العاشرة وسبع وعشرون دقيقة، أيضاً لم يكن لها وجود في سجل مكالماتها، ولفت نظره أيضاً اتصال تم مع رقم هاتف مسجل على الشبكة باسم "سليم أنور" تم الساعة العاشرة وثلاث وخمسون دقيقة، تذكر آدم أنه على الأغلب مديره الذي أخبرتهم عنه مليكة، تبادل مع مراد نظرة ذات مغزى بينما عقب ذلك الأخير قائلاً:

-"أريد التحقيق مع سليم أنور في أقرب وقتٍ ممكن قبل إعادة استجواب الآنسة مليكة ووالدها!"

قالها ونظرة تلمع في عينيه يعرفها آدم جيداً قبل أن ينهض وهو يومئ برأسه إيجاباً مغادراً المكتب لينفذ ما طلبه مراد على الفور!

****

ما أن استقلا مليكة ووالدها سيارتهما عائدين إلى المنزل، حتى انفجر ذلك الأخير صائحاً:

-" غبية! ذلك القرط سيورطك بلا شك، المحقق على يقين من أنه لك، هل كذبتي علي وقابلتيه رغم تحذيري لك؟!"

لم تستطع مليكة أن تنبس ببنت شفة وأجهشت في البكاء، أملاً في التخفيف من حدة غضب والدها، لكن صمتها أثار جنونه أكثر فهدر في عصبية:

-"توقفي عن البكاء الآن وجاوبيني!"

ازدردت ريقها وقالت بصوت مرتجف:

-"بعد الشجار الذي دار بينكما تلك الليلة، وخروج خالد من منزلنا منفعلاً لم يستطع عقلي تقبل أن ينتهي كل شيء على ذلك النحو، أعلم أنك حذرتني من مقابلته ثانيةً لكنك لم تخبرني لماذا؟ وأنا لست طفلة لأتقبل أن ينتهي كل شيء هكذا دون حتى أن أعرف السبب، أنت تعلم أنني كنت أحبه"

قاطعها في غضب:

-"أخبريني ما حدث بالتفصيل وإياكِ أن تكذبي أو تخفي شيئاً وإلا سيكون حسابك عسيراً للغاية"

مسحت دموعها بيدها المرتعشة وتابعت:

-" اتصلت به بعد أن غادر، لكنه رفض الإفصاح عما دار بينكما، فبكيت وتوسلت إليه حتى وعدني أن يخبرني بكل شيء في صباح الغد، اتفقنا على أن نلتقي في أحد المقاهي الهادئة القريبة من الشركة حتى يتسنى لنا الحديث في الأمر كما يحلو لنا

قبل ذهابنا إلى العمل، وبالفعل التقينا نحو الساعة العاشرة والنصف، تناولنا الفطور ثم تحدثنا كثيراً وتجادلنا وتشاجرنا لكني كنت غاضبة منه للغاية ولم أستطع تقبل مبرراته و البقاء أكثر فتركته في نهاية الأمر وغادرت المقهى قرابة الساعة الثانية، ولا أعلم عنه أي شيء من بعدها، ولم أكن أرتدي ذلك القرط من الأساس يومها لأن أحد فردتي الحلق كانت ضائعة مني منذ فترة ويعجز عقلي تماماً عن تفسير وجوده في ثياب خالد؟!"

اتسعت حدقتا عبد التواب وشرد لوهلة قبل أن يسألها بصوتٍ خافت:

-"وماذا قال لكِ ؟!"

نظرت إليه في ألم وقد امتلأت عيناها بدموعٍ حبيسة لم تطق الانتظار طويلاً حتى تتحرر من سجنها وتسيل على وجنتيها وهي تجيبه في مرارة:

-"لقد أخبرني بكل شيء!"

قالتها ودخلت في وصلة بكاء حار لم يجرؤ عبد التواب على مقاطعتها هذه المرة!"

****

وصل آدم إلى مقر الشركة التي كان يعمل بها خالد، ليقوم ببعض التحريات التي كلفه بها مراد، تأكد من أن كلاً من خالد ومليكة لم يذهبا للعمل يوم الحادث خلافاً لما قالته مليكة في التحقيق، وقام باستجواب عدد من زملاء خالد ليعرف طبيعة الخلاف بينه وبين سليم قبل أن يطلبه للتحقيق رسمياً، لكنه لاحظ أن الجميع يتحفظون كثيراً عند الحديث عنه يبدو أنهم يخشونه للغاية، لم يصل إلى شيء ذو فائدة تذكر،

ثم أبلغ سليم باستدعائه للتحقيق، فتراجعت الدماء من وجهه حتى تحول للون الأصفر وتساءل في ذهول:

-"أنا؟ لماذا من علاقتي بمقتل خالد؟ لقد كنت في العمل يومها وبإمكانك التحقق من كاميرات المراقبة لتتأكد من ذلك بنفسك"

لاحت ابتسامة ماكرة على شفتي آدم وهو يجيبه:

-"بالطبع فعلت ذلك! ورأيتك تدخل الشركة الساعة الرابعة وسبع دقائق على الرغم من أنك لم تغادرها بحسب الكاميرات منذ الساعة العاشرة صباحاً، الوقت الذي دخلت فيه إلى الشركة أول مرة في نفس اليوم، هل تعلم ما الذي يعنيه ذلك؟!"

ارتجف سليم على نحوٍ لافت وتيبست الكلمات على شفتيه، لكن آدم لم يمهله ليجيبه فألقى بعبارته:

-" ننتظرك في مكتب المحقق مراد لا تتأخر!" وانصرف مغادراً!

****

قبل أن يستقل آدم سيارته الواقفة في الفناء المقابل للشركة فوجئ بشاب يلحق به وينادى عليه، التفت آدم نحوه في دهشة، فقال الشاب وهو يجاهد للسيطرة على أنفاسه المتلاحقة:

-"اسمي يحيى كنت أحد الزملاء المقربين من خالد رحمه الله، لدي شيء هام أريد اخبارك به لم أستطع قوله داخل الشركة"

ثم أخذ نفساً عميقاً قبل أن يتابع:

-" يوم الحادث تأخر خالد دون أن يبلغ سليم بذلك أو يأخذ إذناً بالتأخير أو يبلغ عن إجازة طارئة، لأنه كان يعلم جيداً بأن سليم لن يوافق أبداً، فهما ليسا على وفاق مطلقاً منذ أصبح سليم مديراً، وكان خالد يعامله دائماً بلامبالاة ولا يعطيه قدره من التبجيل كما يفعل باقي الزملاء مما يثير حنق سليم تجاهه للغاية، وفي يوم الحادث جن جنون سليم حينما لاحظ غياب خالد دون علمه، فاتصل به وتشاجر معه ويبدو أن خالد كعادته أجابه ببرود وعدم اكتراث لتهديداته مما استفز سليم فأقسم على أن يجعله يدفع الثمن غالياً"

برقت عينا آدم وهو يسأله:

-" هل غادر سليم الشركة يومها؟"
تردد يحيى قليلاً قبل أن يجيبه:

-"لست متأكداً لكني لاحظت غيابه عن مكتبه فترة ليست بالقصيرة لكني لا أعلم إن كان قد خرج من الشركة أم كان في مكانٍ آخر بداخلها"

مط آدم شفتيه وهو يلقي بسؤاله التالي:

-"هل هناك باب آخر يمكن الخروج منه من الشركة دون المرور بالباب الرئيسي؟"
فكر يحيى قليلاً قبل أن يجيبه:

-"مخرج واحد فقط! عند مخزن الكافتيريا في الطابق الأرضي باب يفتح على الشارع الخلفي حيث تأتي شاحنات المخبوزات وبعض الأغذية والأغراض اللازمة لإعداد الطعام، لكن عادةً لا يستعمله سوى العاملين في الكافتيريا، أو من أراد مغادرة الشركة دون أن يلاحظ غيابه أحد، في بعض الأحيان ألجأ لفعل ذلك إذا أردت الذهاب لقضاء أمر سريع دون الاضطرار لأخذ إذن رسمي بذلك"

أومأ آدم برأسه إيجاباً وشكر يحيى على تلك المعلومات القيمة، ثم أغلق سيارته واتجه عائداً إلى الكافتيريا ليتحقق من ذلك المخرج بنفسه!

****

اعتدل مراد في جلسته وهو يستعد لاستقبال سليم أنور بعد أن عرف بوصوله، استحضر كل المعلومات التي أبلغه بها آدم وهو يتابع سليم بنظره أثناء دخوله إلى مكتبه بوجهٍ شاحب تظهر عليه علامات الارتباك والتوتر الشديد، طلب منه مراد الجلوس على المقعد المقابل لمكتبه وهو يسأله في صرامة:

-" بما أنك مدير خالد، أخبرني كيف كانت علاقتك بموظفك؟"

ازدرد سليم ريقه في توتر وهو يجيبه:

-" علاقة عاديه في حدود العمل فقط"

-" لكن المعلومات التي لدينا تظهر غير ذلك، لم تكُن علاقتكما عادية مطلقاً، بل كنت دائم الشجار معه والتهديد له "

قاطعه سليم في انفعال:

-"فيما يخص مصلحة العمل فقط ليس شيئاً شخصياً على الإطلاق!"

-"لكنك تشاجرت معه صباح يوم الحادث وأقسمت على جعله يدفع ثمن عدم اكتراثه بك"

-" كنت سأوقع عليه جزاءات في العمل بالطبع لم أكن أعني أني سأقتله!"

ألقى مراد سؤاله التالي على مسامع سليم كالقنبلة المدوية:
-"لماذا غادرت الشركة من باب الكافتيريا يوم الحادث؟ أين ذهبت؟"

تخشب لسان سليم حتى أنه عجز عن الحديث وومضات خاطفة تدور في ذهنه عما حدث في ذلك اليوم!

الجزء السادس

جلس عبد التواب في شرفة منزله شارد الذهن مهموماً، يلوم نفسه على ما فعله بابنته، وهو يتذكر تلك الأحداث المؤسفة التي حدثت قبيل مقتل خالد، فقبل الحادث بيومين جاءته رساله مجهولة المصدر بأن خالد لم ينفصل عن زوجته وأنه قد كذب عليهم طوال تلك المدة، لم يصدق عبد التواب ما تراه عيناه وشعر بغصة تعتصر قلبه، قام بمراقبته حتى رآه وهو يصعد إلى منزله وتأكد من بواب العمارة أنها شقته ويسكن فيها مع زوجته، لم يتمالك أعصابه واتصل به وطلب منه مقابلته في الحال لأمرٍ طارئ، وبالفعل لم تمض نصف ساعة حتى نزل خالد يغادر العمارة مسرعاً ليجد عبد التواب واقفاً أمامه، هوى ذلك الأخير على وجهه بصفعة تحمل كل غضب الدنيا وانهال عليه بوابل من الشتائم، ورفض أن يستمع لحرف مما حاول خالد جاهداً قوله، وانصرف وهو يحذره من الاقتراب من ابنته ثانيةً، لكن خالد لم يكن ليستسلم بتلك البساطة، ففاجأه بزيارة مباغتة مساء اليوم التالي، أمر عبد التواب ابنته أن تبقى في غرفتها وتشاجر معه وطرده من المنزل وهو يتوعده إن فكر الاقتراب من مليكة مرة أخرى، وهو من سيتولى أمر إخبارها بالحقيقة، لكنه لم يتجرأ على فعلها، كان في حاجة للمزيد من الوقت لكن الأحداث كانت سريعة وصادمة للغاية لم يتوقع أن يكون خالد قد أخبرها بنفسه**!**

****

تظاهر سليم بالتماسك وهو يجيب سؤال مراد:

-" نعم غادرت الشركة من باب الكافتيريا الساعة الثانية والنصف، لأنني لم أشأ أن يعلم الموظفين بخروجي حتى لا يستغلوا غيابي بأي شكلٍ كان، لكني لم أكترث لأمر دخولي من الباب الرئيسي لاحقاً، ذهبت لمقابلة صديق لي أراد الحديث معي في أمر شخصي، التقينا في مقهى قريب من الشركة، يمكنك التأكد من وجودي في المقهى من كاميرات المراقبة الخاصة به، ولا أعلم حقاً ما صلة ذلك بمقتل خالد**!"**

أجابه مراد في حدة:

-"سنتحقق أولاً من وجودك في المقهى ثم سأجيب سؤالك عن صلة الأمر بمقتل خالد، سؤالي الأخير لك مؤقتاً:

-" من هو صديقك الذي خرجت لتقابله ولماذا؟"

بُهِت سليم على نحوٍ لافت وبلل شفتيه بلسانه في توتر وعقله يصارع حيرته هل يخبره بالحقيقة أم يخفيها؟ لا شك أن الحقيقة ستضاعف شكوك مراد بشأنه لدرجة ستورطه ورطةً قد لا يجد سبيلاً للخروج منها!

****

"وقت الوفاة الساعة الثالثة والنصف مساءً!"

رددها مراد في شرود على مسامع آدم الذي يجلس في سكون ينصت إلى تحليله لما توصل إليه في التحقيقات حتى الآن، كما اعتاد أن يفعل من آنٍ إلى آخر، استطرد مراد حديثه بنبرةٍ جادة للغاية:

-"مليكة كذبت في التحقيقات وتخفي شيئاً ولا نعلم أين كانت الساعة الثالثة والنصف، بعد أن تأكدنا من أنها لم تكن في الشركة كما ادعت، وذلك القرط الذي يحمل أول حرف من اسمها لا يزال الدليل الرئيسي للاشتباه بإدانتها!

وعبد التواب كذلك ليس مريحاً على الإطلاق ويبدو أنه يشاركها في إخفاء الحقيقة ولا نعلم كذلك أين كان وقت مقتل خالد،

السيدة فرح كانت في منزلها تستعد لأحداث ذلك اليوم الهام جداً بالنسبة لها ولم تغادره قبل السادسة والنصف، لكن لا يمكن استبعادها هي الأخرى من دائرة الشك فهي الوريثة الوحيدة لثروة خالد،

وعمتها سلوى لم تكن تعلم شيئاً عن خلافها مع خالد حسب روايتها ولا يوجد دافع منطقي يدفعها لارتكاب الجريمة،

والمفاجأة غير المتوقعة أن سليم كان في المقهى برفقة زياد صديق خالد الذي كان يدعي تواجده في عمله وقلقه على خالد بسبب عدم إجابته على اتصالاته به!

والسبب حسب أقوال سليم هو رغبة زياد في ترك عمله والحصول على عمل في الشركة التي يعمل بها كل من خالد وسليم، وهو بالنسبة لي سبب غير منطقي ولا أصدق حرفاً واحداً منه، فطلب كهذا لا يستدعي الخروج وقت العمل لمناقشته، أنا

على يقين من كذب سليم وإخفائه لأمر أكثر أهمية بكثير وربما تكون له صلة مباشرة بالجريمة حتى وإن كان تواجدهما في المقهى ينفي ارتكابهما المباشر لها!"

غمغم آدم في أسف قائلاً:

-" الأمور غير واضحة والجميع يخفون الحقيقة، وتأخرنا في الوصول إلى مسرح الجريمة يزيد من غموض الأحداث، لا شك أننا سنجد هناك ما يدلنا على القاتل!"

قام مراد بضغط زر تشغيل ذلك الفيديو الذي يوثق جريمة القتل الغامضة تلك، بعد ضبط الإعدادات ليكون العرض بطيئاً للغاية، وهو يتأمل فيه بتركيز شديد، رمقه آدم بنظرةٍ تحمل مزيجاً من الدهشة والضيق وهو يقول بامتعاض:

-" ألم تمل من مشاهدة ذلك الفيديو؟ لا أفهم سبب إصرارك على ربطه بمقتل خالد!"

-"لا يمكنني تجاهل حدسي يا آدم، شعور قوي بداخلي أن هذا الفيديو هو مفتاح حل تلك الجريمة"

بتر مراد عبارته فجأة وهو ينحني نحو شاشة الحاسوب ويده تضغط زر إيقاف عرض الفيديو، قبل أن يعيد المؤشر الزمني إلى عشر ثواني سابقة ثم يقوم بتشغيله ثانيةً، ثم أوقفه مرة أخرى والتقط لقطة شاشة قام بتكبيرها، لمعت عيناه على نحوٍ لافت أجبرت آدم على الاقتراب منه والتدقيق في الصورة الظاهرة أمامه، ليجدها لافتة معلقة على جزء من الجدار الظاهر في الفيديو، لم تكن الصورة واضحة بسبب تكبيرها لكنه تمكن بصعوبة من قراءة المكتوب بداخل اللافتة، أربعة أحرف بالانجليزية: " AMCG"

اتسعت حدقتا آدم بينما عقب مراد قائلاً:

-"أعتقد أننا أمسكنا بطرف الخيط أخيراً! هذه الأحرف تشير إلى أن المكان الذي تمت فيه الجريمة ربما يكون مستودع خاص بشركة ما، ليس من الصعب البحث عنها في محيط المنطقة التي عُثر فيها على جثة خالد"

أجابه آدم وهو ينظر إليه في إعجاب:

-"لا أصدق أنك لمحت تلك اللافتة التي لم تظهر في الفيديو سوى لثلاثة ثوانٍ فقط!"

ابتسم مراد في زهو بينما استعد آدم لتنفيذ مهمته التالية!

****

تلاحقت أنفاس فرح وجسدها يرتعد خوفاً من ذلك المشروب الذي تحمله عمتها، لكنها تمالكت أعصابها وأخذته منها وهي تتظاهر بالشرب دون أن تأخذ منه رشفة واحدة، ثم قالت بصوتٍ خافت:

-" عمتي سلوى! أنا أعتذر عما قلته لك سابقاً، تعلمين أنني لست في حالتي الطبيعية وبالتأكيد ما يحدث قد أثر على أعصابي ولم أكن أعني حرفاً مما قلته"

رمقتها سلوى بنظرة غير مريحة على الإطلاق، اقشعر لها بدن فرح ثم قالت في هدوء:

-"لا تخافي يا فرح! من المستحيل أن أفكر في إيذاؤك لقد وضعت لك بعض المهدئات في المشروب لأساعدك على تجاوز هذه الفترة الصعبة لا أكثر! وإن كنت مصرة على البقاء وحدك فلا بأس أنت وشأنك، يمكنني المغادرة الآن إن شئتِ!"

لم تستطع فرح إخفاء سعادتها بتلك الجملة فردت بتلقائية:

-"نعم يمكنك المغادرة الآن"

ثم تداركت حديثها في حرج:

-" أقصد أنني بالفعل في حاجة للبقاء وحدي لفترة مؤقتة وبإمكانك المجيء في أي وقتٍ لاحق!"

أومأت سلوى برأسها في تفهم وهي تقول:

-" حسناً كما تريدين"

قالتها وقامت متجهة نحو باب الغرفة وقبل أن تخطو خارجها، التفتت نحو فرح تحدق فيها بتلك النظرة المبهمة قائلة:

-"أردت مساعدتك ليراكِ الناس على هذه الحال ولا يشك أحد في أمرك، حاولت إخراجك من دائرة الشبهات حتى تتسلمي ميراثك"

ثم غمزت بعينها وابتسامة شيطانية تلوح على شفتيها ارتعدت لها أوصال فرح التي عجز لسانها عن النطق بحرفٍ واحد!

****

" سيادة المحقق آدم، لقد توصلت تحرياتنا بالفعل إلى مكان مستودع تابع لشركة "AMCG" المتواجد في المنطقة التي ذكرتها، فلديهم أربع مستودعات في مناطق مختلفة، وهذا الأخير قد تم تأجيره منذ شهر لشخص يدعى صابر عزب، تاجر يمتلك إحدى المحال الواقعة في شارع قريب من المستودع، سأرسل لك رسالة بموقع المستودع"

أنهى آدم الاتصال وانتظر بضع ثواني حتى وصلت إليه الرسالة التي تحمل موقع المستودع، ثم سارع بإرسالها إلى مراد ليتفقا على الالتقاء هناك في غضون ساعتين على الأكثر!

****

فتحت مليكة تلك العلبة الصغيرة من القطيفة الحمراء وأخرجت منها فردة الحلق الأخرى، تنظر إليها في أسف وشلال من الدموع ينهمر من عينيها، تذكرت ذلك اليوم الذي أهداها فيه خالد هذا القرط، وكان أول هدية منه، لذلك أحبته كثيراً وظلت ترتديه طوال الوقت حتى اختفت إحدى الفردتين ذات يوم، بحثت عنه كثيراً دون جدوى فتوقفت عن ارتدائه رغماً عنها، أعادتها من شرودها طرقات قوية من والدها على باب الغرفة منادياً عليها، أدخلت الحلق في العلبة ووضعتها في درج خزانتها على عجلة ثم سارعت بفتح الباب، انقبض قلبها حينما وقعت عيناها على وجه والدها الذي تقلص من الفزع وغزته ملامح الخوف والارتباك على نحوٍ ينذر بحلول كارثة، تنحنح ثم قال في مرارة:

-"رجال الشرطة في الخارج جاءوا لتفتيش المنزل والقبض عليك بتهمة قتل خالد!"

الجزء السابع

وصل المحقق مراد وبصحبته آدم إلى المستودع الذي كان في أرض خالية ملاصقة لبناية قديمة مهدمة، لكن وجداه مغلقاً، دار مراد حول المستودع يتفحصه من الخارج، جدرانه ليس بها سوى نافذة واحدة مرتفعة ومغلقة من الداخل، وباب خلفي مغلق بألواح خشبية يظهر من شكلها أنها مثبتة حديثاً، نظر آدم إلى ساعته وهو يقول في ضيق:

-"لقد تأخر صابر، أكدت معه الموعد أكثر من مرة وأخبرني بأنه سيكون في انتظارنا، سأتصل به ثانية"

قالها وضغط زر الاتصال لكن الهاتف كان مغلقاً، بدأ الشك يتسلل إلى قلب آدم، مضت ربع ساعة إضافية وقد تمكن الغضب من مراد وقال بانفعال:

-"يظهر جلياً أنه لن يأتي لقد كان يراوغنا"

لكنه ما أن أتم عبارته حتى ظهر شاب طويل البنية ضخم الجسم قادم من خلف البناية المهدمة، يسابق الخطى باتجاههما، حتى وصل وهو يجاهد ليلتقط أنفاسه ويقول بصوت متقطع:

-"أعتذر كثيراً عن التأخير، أنا سامي أعمل في متجر السيد صابر لقد تعرض لظروف طارئة ولم يستطع المجيء وطلب مني الحضور بدلاً عنه لفتح المستودع، تبادل مراد مع آدم نظرة ذات مغزى، ثم قال مراد في صرامة:

-"سنتحدث في هذا الأمر لاحقاً، هيا افتح الباب"

سارع سامي إلى القفل الحديدي الضخم الذي يغلق السلسلة السميكة المربوطة حول مزلاج كبير يغلق الباب، وبعد أن انتهى من فتحه دخل أولاً وأضاء المصباح الكهربائي الوحيد في المكان، سار كل من مراد وآدم في اتجاهين مختلفين وراحا يتفحصانه بتمعن شديد، كان المستودع شبه خالي إلا من حاويتين معدنيتين بهما بعض البضائع الخاصة بمتجر صابر، لم يكن هناك ما يؤكد كون هذا المستودع هو المكان الذي تم تصويره في فيديو الجريمة أم لا سوى تلك اللافتة المثبتة على الحائط، حتى الأرض كانت نظيفة لا أثر فيها لشيء دال على حدوث جريمة ولا حتى تراب!

تطلع مراد إلى سامي بنظرة مباغتة، وهو يطرح سؤاله الأول:

-"متى آخر مرة قمتم بتنظيف المستودع؟"

أجابه في تردد:

-" أعتقد أن السيد صابر فعل ذلك قبل وصول حاويتي البضائع أول أمس"

-"ووضع تلك الألواح الخشبية على الباب الخلفي؟"

-"لا أعلم تحديداً متى وضعها لم أنتبه لوجودها قبل اليوم"

-"متى آخر مرة حضر صابر إلى هنا"

-"كما أخبرتك قبل يومين"

-"وقبل اليومين ماذا كان يوجد في هذا المستودع؟"

بدا التوتر على وجه سامي وهو يجيبه:

-"السيد صابر أجر هذا المستودع منذ شهر تقريباً، بعد أيام من استلامه، وصلت إلينا بعض البضائع، أخذنا أغلبها إلى المتجر والباقي ظل هنا، نأخذ منه كلما احتجنا لذلك، وكان من المفترض وصول هاتان الحاويتين قبل أسبوع لكن تم إبلاغنا بتغيير موعد وصول الطلبية، وكانت البضائع القديمة قد نفذت تماماً"

-"هل تعني أن المستودع كان خالياً نحو أسبوع!"

-"خمسة أيام بالضبط"

-" ولم يدخله أحد طوال تلك الأيام الخمسة لأية سبب؟"

-"لا علم لدي، يمكنك سؤال السيد صابر عن ذلك"

-"مع من يكون مفتاح المستودع عادة؟"

-"توجد ثلاث نسخ، واحدة مع السيد صابر وواحدة في المتجر، وواحدة مع ابنه حسين"

هز مراد رأسه واتجه نحو دولاب خشبي صغير في أحد أركان المستودع، فتحه وهو يتطلع في أرففه، ليجد بعض المعدات من بينها منشار كهربائي"

أغلق الدولاب في هدوء ثم التفت نحو آدم قائلاً:

-"أبلغ البحث الجنائي أني أطلب رفع البصمات عن هذا المستودع ومحتوياته في الحال، واستدعي صابر وابنه حسين للتحقيق رسمياً في جريمة قتل خالد حمدي"!

****

حالة من الانهيار انتابت مليكة وهي تسير في الرواق المقابل لمكتب المحقق مراد، والأصفاد تقيد يديها، يحاوطها رجال الشرطة من كل اتجاه وكأنها مجرم عتيد يخشون هروبه، دخلت إلى مكتبه وحدها بعد أن منع رجال الشرطة والدها من مرافقتها إلى الداخل، ثم جلست أمامه وجسدها ينتفض في هلع، لكن مظهرها لم يثر شفقته ناحيتها مطلقاً، بل نظر إليها وهو يمسك في يده العلبة القطيفة الحمراء التي تحوي الفردة الثانية من الحلق الذي وجد في ملابس القتيل بعد أن عثر عليها رجال الشرطة بداخل درج خزانتها، ثم قال في صرامة:

-" أنت من فعلت ذلك بنفسك بكذبك واخفائك للحقائق، والآن أصبحت مجبرة على الاعتراف بكل شيء!"

ارتعد جسدها على نحوٍ لافت وأجابته في تلعثم:

-" نعم اعترف أني قد أخفيت أمر الحلق لكني أقسم لك أنني لا أعلم كيف وصل إلى ملابس خالد في ذلك اليوم، فهو ضائع مني منذ فترة ولم أرتديه منذ أسابيع، أقسم أن تلك هي الحقيقة"

قال في برود:

-"لا دليل يؤكد صحة كلامك آنسة مليكة، وماذا عن اخفاؤك للمكالمات التي تمت بينك وبين خالد صباح يوم الجريمة؟"

اصفر وجهها وزاغت عيناها وقد أدركت أنها في ورطة كبرى لن تجد سبيلاً للخروج منها، أجابته في خفوت:

-" لقد خفت! خفت ألا تصدقوني، وخفت من أبي أيضاً لأنه كان سيشيط غضباً إن علم بذلك"

حدق فيها مراد قائلاً:

-"لماذا؟"

نظرت إليه بأعين مرتعشة وهي تدرك جيداً أن الحقيقة لن تكون في صالحها مطلقاً، لكن لم يكن لديها خيار آخر سوى قولها، فجعلت تحكي لمراد كل ما جرى منذ الشجار الذي دار بين والدها وخالد وحتى لقائهما في المقهى يوم الحادث وما أخبرها به ذلك الأخير، ارتفع حاجبي مراد في دهشة وتبادل نظرات التعجب مع آدم الذي لم يكن يصدق هو الآخر أن عبد التواب كان علم بزواج خالد قبل مقتله!

تذكر كيف انهار وتظاهر بالمفاجأة حينما أخبره بذلك، تضاعفت بداخله الشكوك تجاهه فدوافعه أصبحت واضحة تماماً، شرد مراد لوهلة بعد أن أنهت مليكة حديثها وما دار بينها وبين خالد في المقهى، كيف بكت وانهارت حينما اعترف لها بأنه لم يطلق زوجته ولا يستطيع فعل ذلك بها، ولكنه أيضاً لا يمكنه الابتعاد عن مليكة ولا العيش بدونها وترجاها أن تسامحه ولا تتركه، كان يعلم جيداً أنها تحبه كثيراً ولن تقدر على تركه، وبعد جدال حاد دار بينهما غادرت مليكة المقهى باكية وقد حذرته من ملاحقتها أو أي محاولة للاتصال بها، وأخبرته أن ينساها تماماً وإلا سيدفع الثمن غالياً وستذهب إلى زوجته وتخبرها بكل شيء، سألها مراد:

-"كم كانت الساعة حين غادرتي المقهى؟"

-" لا أتذكر بالضبط لكن أعتقد أنها لم تكن قد تجاوزت الثانية مساءً"

-"وماذا حدث بعد ذلك؟"

-" لم أستطع الذهاب إلى الشركة وأنا في تلك الحالة فركبت سيارة أجرة وذهبت إلى أحد المولات التجارية لأبقى هناك حتى موعد انتهاء عملي حتى لا يشك والدي في شيء، ولأتمالك أعصابي أيضاً قبل عودتي إلى المنزل"

-"هل كنتي في المول التجاري الساعة الثالثة والنصف مساءً؟"

-"نعم، غادرته في تمام الخامسة إلا ربع وعدت إلى منزلي مباشرةً"

-"ستبقين هنا حتى نهاية التحقيقات ربما نكتشف دليلاً جديداً يجبرك على قول حقائق أخرى لا تزالين تخفينها"

صرخت في هلع:

-"أقسم لك أنني لا علاقة لي بقتله، لقد كنت أحبه ومن المستحيل أن أؤذيه ولم أره بعد أن غادرت المقهى"

لم يكترث مراد لصراخها وأشار إلى أمين الشرطة ليأخذها إلى الحجز ويستدعي عبد التواب!

****

بعد أن دخلت مليكة إلى غرفة التحقيق، ألقى عبد التواب بجسده المنهك على كرسي الانتظار القريب منه، دفن وجهه بين كفيه وترك العنان لدموعه بأن تسيل على وجنتيه، وفي عقله ذكريات تمر أمامه دون توقف، تذكر يوم وفاة والدة مليكة وكانت لا تزال في التاسعة من عمرها، عاهد نفسه أن يعوضها عن غيابها بأقصى استطاعته، فأصبحت هي حياته كلها، وهب حياته لتربيتها لكنه أفسد كل شيء في النهاية، ضيع مستقبلها وجرح قلبها كل ما حدث كان بسببه، كيف لم يكشف ذلك المخادع من اللحظة الأولى؟ كيف تركه يتلاعب بمشاعر ابنته هكذا؟ ولكن ما فائدة لومه لنفسه الآن، لقد انتهى كل شيء وستدفع ابنته الثمن غالياً!

انتزعه من شروده صوت نواح مليكة أثناء خروجها من مكتب المحقق مراد، وهي تتوسل إليه أن يفعل شيئاً لإخراجها، لكن الشرطي دفعها بقوة انخلع لها قلب عبد التواب وهما يتجهان نحو الحجز لتبقى فيه لعدة أيام على ذمة التحقيق، اتجه إلى داخل المكتب بعد أن أخبره أمين الشرطة باستدعاء المحقق مراد له، كان عبد التواب يجر قدميه جراً وبالكاد يقو على الوقوف، أشار إليه مراد ليجلس، ثم قال بنبرةٍ حادة:

-"إذن كنت على علم بأن خالد لم ينفصل عن زوجته قبل الجريمة يا سيد عبد التواب وليس بعدها!"

رفع عبد التواب نظره إليه بصعوبةٍ بالغة وقد ظهر عليه الإعياء الشديد، وقال في جدية:

-"دعوا مليكة وشأنها فليس لها ذنب في كل ما حدث، أنا الذي قتلت خالد!"

الجزء الثامن

استمر النقاش بين مراد وآدم لوقتٍ طويل بعد انتهاء التحقيق مع عبد التواب، فاعتراف عبد التواب كان مفاجئاً لكلاهما، ولكن تفاصيل الجريمة التي حكاها كانت هي محور الخلاف بينهما، فحسب رواية عبد التواب أنه كان يراقب مليكة يوم الجريمة وانتظر حتى غادرت المقهى، ولحق بها خالد لكنه استوقفه وأجبره على مرافقته بحجة رغبته في الحديث معه، ركب معه خالد في سيارته فأخذه إلى بناية تحت الإنشاء قريبة وقتله ثم قطع جثته ووضعها في أكياس، بعدها أخذها ورماها في مكب النفايات، قال آدم في حنق:

-"الجريمة واضحة والقاتل اعترف ودوافعه منطقية تماماً، لا أفهم إصرارك على ربطها بذلك الفيديو وبالتالي بالمستودع!"

اجابه مراد متجاهلاً اعتراضه:

-"هل وصلك تقرير البصمات الخاص بالمستودع؟!"

-"اتصلت بهم وأخبروني بأنه انتهى وسيصلنا في أية لحظة"

-"جيد وماذا عن صابر وابنه؟"

-"على وشك الوصول إلى هنا أيضاً"

-"فلنؤجل جدالنا إذن حتى تكتمل الصورة"

كتم آدم غيظه وأمسك بهاتفه يتصفح بعض مواقع التواصل، محاولاً تجنب المزيد من الجدال مع مراد، لم تمضِ دقائق حتى وصل تقرير البصمات، التهمه بعينيه وقد ورد فيه العثور على بصمات تعود لصابر وسامي واثنين آخرين عند الحاويات أغلب الظن أنهما من العمال، ولا أثر يذكر لأي دماء أو شيء آخر على الأرض، ولا بصمات على المنشار الكهربائي، ولكن...

صاح مراد في انفعال وهو يقرأ السطر الأخير:

-"أرأيت كنت على حق، نقطة دماء على المنشار الكهربائي تم التأكد من أنها تعود لخالد! رغم أن القاتل نظفه لكنه لم ينتبه لقطرة مختبئة في الجزء الداخلي لأحد أزراره"

لم يجرؤ آدم على التعقيب على كلامه بحرفٍ واحد هذه المرة، شعر بأنهم عادوا لنقطة البداية ثانية، بعد مرور نحو ربع ساعة إضافية وصل صابر وابنه حسين، كان آدم يتحرق شوقاً لوصولهما فقد نال الفضول منه ليعرف صلتهما بالجريمة، طلب مراد أن يبدأ بالتحقيق مع صابر وحده أولاً، بادره قائلاً:

-" ما علاقتك بالمجني عليه خالد حمدي؟"

بدت آثار الذهول على وجه صابر وهو يجيبه:

-"ليس لي أي علاقة به، بل أنني أول مرة في حياتي أسمع هذا الاسم ولا أفهم حقاً ما علاقتي بتلك الجريمة؟"

-"علاقتك بالجريمة هي هذا الفيديو الذي تم تصويره قبل أيام في المستودع الذي أجرته منذ شهر، وتم العثور على قطرة من دماء القتيل على المنشار الكهربائي الموجود في الدولاب داخل المستودع"

فغر صابر فاه وهو يحدق في الفيديو ذاهلاً، فليس له أي علاقة تذكر بمواقع التواصل الاجتماعي ولم يكن يعرف شيئاً عن الفيديو سابقاً، قال في استنكار:

-"لا شيء في الفيديو يؤكد علاقته بالمستودع، ولا أعرف كيف وصلت قطرة الدماء تلك إلى المنشار الكهربائي الموجود هناك فلا أذكر أنني قد استعملته مطلقاً، هو موجود مع بعض المعدات بشكل احتياطي إن دعت الحاجة لاستخدامه وهذا لم يحدث حتى الآن"

-"هل دخل أحد غريب إلى المستودع خلال الأسبوع الماضي"

-"لا أحد غريب! أنا وبعض العمال أثناء استلام حاويتي البضائع فقط"

-"هل قمت بتنظيف المستودع خلال الأسبوع الماضي؟"

-"لا! ربما سامي من قام بذلك"

-"لكنه قال إنك ربما أنت من قمت بتنظيفه"

ظهرت علامات الاستغراب على وجه صابر ولم يعقب، استطرد مراد حديثه:

-"والألواح الخشبية على الباب الخلفي، هل أنت من وضعها؟"

-"لا لست أنا، ولكن أظن أنه ابني حسين فمنذ أن أجرنا المستودع وهو يخبرني أن الباب الخلفي ليس محكم الإغلاق لكنني لم أُلقِ بالاً لحديثه ولم أهتم كثيراً لوضع تلك الألواح عليه"

-"هل حسين معتاد على الذهاب إلى المستودع؟"

-"ليس كثيراً هو يرافقني فقط إن طلبت منه ذلك"

اكتفى مراد بالتحقيق مع صابر وطلب منه الانصراف بينما أمر بإدخال حسين إلى غرفة التحقيق، كان شاباً في أواخر العشرينات يبدو من مظهره أنه مختلف تماماً عن والده الوقور، ذلك البنطال الممزق عند الركبة والسلاسل التي تحيط برقبته وقصة شعره الغريبة مع بعض الخصلات الصفراء، مظهره عامة لا يبعث على الارتياح مطلقاً، جلس أمام مراد ينظر إليه في عدم اكتراث، بينما خاطبه ذلك الأخير بحنقٍ واضح:

-"ما علاقتك بالمجني عليه خالد حمدي؟"

-"لا أعرف أحداً بهذا الاسم" أجابه في برود.

انفعل مراد على نحوٍ مباغت ووقف صائحاً:

-"اسمع يا هذا إن لم تقدر حجم الكارثة التي وقعتم فيها أنت ووالدك وتعاونت معنا للوصول للقاتل فسأوجه لكما تهمة القتل العمد، وفرصتكما للخروج من القضية شبه معدومة، فقد وجدوا قطرة من دماء القتيل على المنشار الكهربائي الموجود بالمستودع"

اتسعت عينا حسين عن آخرهما وتيبست الكلمات على شفتيه، وتشكلت قطرات العرق من العدم على جبينه، ازدرد ريقه وقال في خفوت:

-" أنا أعمل صانع محتوى على وسائل التواصل، عندي قناة خاصة بها عدد ليس بالقليل من الفيديوهات ولدي عدد كبير من المتابعين، علمت أن المستودع سيكون خالياً لخمس أيام ففكرت في عرضه للإيجار خلال تلك المدة دون علم والدي، نشرت الإعلان على صفحتي مرفق برقم للتواصل، وبالفعل وصلني عدد لا بأس به من طلبات الإيجار، ثم جاءني اتصال من رقم مجهول كانت امرأة عرفت لاحقاً أنها

تدعى مليكة أخبرتني بأنها ستدفع السعر الذي أحدده أنا، طلبت سعر أعلى من الذي طلبته من الآخرين وتعجبت حينما وافقت عليه دون أي محاولة للفصال، اتفقنا على أن نلتقي لأعطيها مفتاح المستودع، وبالفعل التقيت بها، دخَلَت المستودع وتفحصت محتوياته ثم أعطيتها المفتاح وأعطتني مبلغ الإيجار كاملاً مقدماً، لكن الفضول دفعني لمعرفة ما ستفعله بالمستودع خلال تلك الفترة، فكنت أذهب إلى هناك كل يوم لأعرف ما الذي يحدث، في الأيام الثلاثة الأولى لم تذهب مطلقاً، كنت أدخل إلى المستودع من الباب الخلفي، أعرف طريقة لفتحه فهو لم يكن محكم الإغلاق، ولا أعثر لأي أثر على مجيء أحد، وفي اليوم الرابع ذهبت إلى هناك فسمعت صوتاً بالداخل، اقتربت من الباب الخلفي واستغليت الجلبة بالداخل لأفتحه بمقدار بالكاد يكفي للنظر، لأجد منظراً مفزعاً للغاية، وجدت رجل مقيد وملقى على الأرض وشخص يرتدي عباءة بقلنسوة وجهه ملثم يجره على الأرض، أخرجت هاتفي وجعلت أصور ما أراه، كان الرجل يحاول الهرب زاحفاً على ظهره في بطء لكن الشخص الآخر هوى على رقبته بسكين كبير فقتله، التفت القاتل نحوي فجأة فسقط الهاتف من يدي من شدة الفزع، التقطته بسرعة وظللت أركض بأقصى سرعتي دون أن ألتفت خلفي حتى وصلت إلى سيارتي وانطلقت بعيداً، ظللت أرتجف من هول ما رأيت وأنا أعيد مشاهدة ذلك الفيديو مراراً، وألوم نفسي على تلك الورطة التي أوقعت والدي فيها، لم أستطع الذهاب إلى أي مكان انتظرت حتى المساء ثم عدت إلى المستودع ثانيةً، فلم أجد أثر يذكر لأي شيء، كان المكان خالياً ونظيفاً على نحوٍ لافت ووجدت مفتاح المستودع موجود على الأرض، أخذته وقمت بتنظيف المستودع ثانيةً وغسلت أرضه بالماء والصابون جيداً لأتأكد من إزالة أي أثار لما حدث، ثم أغلقت الباب الخلفي بألواح من الخشب حتى لا يدخله أحد وعدت إلى المنزل، فكرت أن الأمر انتهى ولا دليل على شيء يخصنا، وبقي ذلك الفيديو يشغل اهتمامي كثيراً بإمكاني بيعه لمشاهير وسائل التواصل وسأجني منه الكثير من المال فلا شيء في محتواه يظهر المكان الذي حدث فيه، ولولا أنني خفت من التورط في الأمر لأنزلته على قناتي الخاصة، لكني فضلت البقاء في الظل والاكتفاء بما سأحصل عليه من أموال مقابل بيعه.

اقسم لك أن هذا كل ما حدث**!"**

سأله مراد في غضب:
-" رأيت جريمة قتل ولم تكترث بإنسان مقتول ولم يشغلك الإبلاغ عن القاتل وكل ما فكرت فيه هو استغلال فيديو يوثق جريمة قتل لكسب بعض المال؟! أي نوعٍ من البشر أنت؟!"

أطرق حسين رأسه إلى الأرض ولم يجرؤ على التعقيب بحرف واحد، ثم ما لبث حتى انتفض جسده في فزع حينما صاح فيه مراد قائلاً:

-" هل كان القاتل رجل أم امرأة؟"
رد بصوتٍ مرتجف:

-"أقسم لك أنني لا أعرف! فقد كان يقف بظهره ويرتدي عباءة واسعة بقلنسوة تخفي معالم جسمه ورأسه، لقد رأيت الفيديو بنفسك، وعندما استدار نحوي كان وجهه ملثم والإضاءة خافتة، ثم إنني قد دب الذعر في نفسي وشلَّت المفاجأة تفكيري فالتقطت هاتفي وسارعت بالفرار!"
-" سأحضر لك مليكة لتتعرف عليها"

تنحنح حسين في خوف قبل أن يجيبه:

-" لا أعرف شكلها بالضبط، فحين التقينا كانت ترتدي نظارة شمس ضخمة وكمامة طبية لا يظهر من وجهها شيء تقريباً وترتدي حجاباً وملابس واسعة"

احتقن وجه مراد وقد تضاعف غضبه وهو يسأله في نفاد صبر:

-" لكن أعتقد أنك قد سمعت صوتها ولا تقُل لي أنها كانت خرساء!"

-" بلى سمعت صوتها لكن حقيقةً لا أعرف إن كنت قادراً على تمييزه فأنا لا أركز جيداً في مثل هذه الأمور"

-"هل رأيت بطاقتها الشخصية أو كتبتما عقد إيجار؟"

تمنى حسين أن تنشق الأرض وتبتلعه في هذه اللحظة قبل أن يجيب سؤال مراد:

-"لا لم أكن في حاجة لذلك فالمدة قصيرة جداً والمستودع موجود لن تأخذه إلى أية مكان، وأعطتني مبلغ الإيجار كاملاً مقدماً فلا شيء مقلق بالنسبة لي وهي لم تطلب عمل عقد أو أية أوراق"

أخذ مراد نفساً عميقاً محاولاً تمالك أعصابه ثم طلب إحضار مليكة إلى مكتبه.

دقائق انقضت قبل أن تصل مليكة إلى مكتب مراد وهي في حالة انهيار تام، سألها مراد إن كانت تعرف الرجل الموجود أمامها -يقصد حسين- فأجابته بأنها لم تره في حياتها مطلقاً من قبل، كان غرضه أن يسمع حسين صوتها لعله يتعرف عليها، بدا الارتباك جلياً على قسمات وجه حسين وهو يقول متلعثماً:

-"لا يمكنني الجزم بكونها هي أو لا، فصوتها متهدج من كثرة البكاء ولا أستطيع تمييزه"

بدا محقاً في كلامه، فكتم مراد ضيقه بداخله وأمر باحتجاز كلاهما على ذمة التحقيقات، ألقى بجسده على الكرسي خلف مكتبه وهو يدفن وجهه بين راحتيه، زفر آدم في ضيق قائلاً:

-"أصبحت الأمور معقدة ومتناقضة أكثر من اللازم، لا أدلة مؤكدة ولا يمكن تجاهل اعتراف عبد التواب بالجريمة، وربما تفسير عدم ذكره للمستودع هو محاولته لإبعاد ابنته عن القضية"

هز مراد رأسه في عدم اقتناع:

-"كلامك يعني أن هناك اتفاق مسبق بينهما على قتل خالد، هي ذهبت لتأجير المستودع وهو نفذ الجريمة، وهذا يتنافى مع كلام كلٍ من عبد التواب ومليكة فهي لم تعرف بأمر عدم انفصال خالد عن زوجته إلا يوم الحادث، وعبد التواب عرف قبلها بيومين، وحجز المستودع سبق الجريمة بثلاثة أيام، أي قبل أن يعرفا هما الاثنين وبالتالي لا دافع لارتكاب الجريمة من الأساس، ثم لماذا قامت مليكة بإخبار حسين باسمها إذا لم تكن هناك أي ضرورة لفعل ذلك؟! ربما من التقت به بالفعل قصدت ذكر اسم مليكة لتوريطها في الجريمة"

مط آدم شفتيه في حيرة مغمغماً:

-"وربما أحدهم يكذب ولا يزال يخفي شيئاً لا نعرفه"

-" يمكننا مراجعة كاميرات المراقبة الخاصة بالمقهى للتأكد من كلام مليكة"

أنهى عبارته ولم ينتظر ثانية إضافية وقام متجهاً إلى هناك يرافقه آدم، وعقليهما في حالة صراع متواصل مع كل الأحداث المتشابكة التي سمعاها على مدار اليوم أملاً في كشف الحقيقة، وسؤال يتردد في عقل مراد كدوي النحل من شأنه أن يحسم الأمر برمته:

-**"أين ذهب خالد من الساعة الثانية وحتى الثالثة والنصف؟!"**

الجزء التاسع

لم تصدق فرح أذنيها وهي تسمع باب شقتها يغلق بعد أن غادرت عمتها وتركتها وحدها أخيراً، ركضت إلى باب الشقة وألقت نظرة من العين السحرية حتى تأكدت من نزولها وأغلقت الباب بالمفتاح، ثم جرت قدميها جراً إلى الأريكة وجلست في وهن وراحت تبكي كما لم تبكِ من قبل في حياتها كلها، حتى غلبها النعاس لوهلة ثم استيقظت وهي تصرخ من كابوسٍ مفزع أصبح يراودها كثيراً، أمسكت بهاتفها المحمول وفتحت استوديو الصور وظلت تتأمل في صورة الطفل علي الذي كانت تتمنى تبنيه، ابتسمت رغماً عنها وقررت الذهاب لرؤيته، ثم خطرت ببالها فكرة لماذا لا تتابع إجراءات التبني؟ وستغير اسمه لتجعله خالد إحياء لذكراه، سالت دموعها في حزن ثم تراجعت عن فكرة مغادرة المنزل الآن، فهي لاتزال متعبة للغاية وليست قادرة على فعل شيء، تذكرت حديث عمتها عن استلام الميراث، فقررت تأجيل فكرة تبني الطفل حتى تستلمه بالفعل لتكون قادرة على الإنفاق عليه، لكن الفكرة في حد ذاتها بعثت في نفسها الكثير من الارتياح الذي تفتقده كثيراً في هذه الفترة العصيبة من حياتها، انتزعها من شرودها رنين هاتفها، انعقد حاجبيها حينما وجدته زياد، أجابته في قلق لتدهشها نبرته الحانية:

-"أردت الاطمئنان عليك"

-"أنا بخير الحمد لله شكراً لك"

-"إن احتجت شيئاً في أي وقت أرجوك لا تتردي في إخباري"

ضيقت حدقتيها في عدم ارتياح وهي تجيبه:

-"أشكرك كثيراً"

ثم انعقد حاجبيها في ذهول من عبارته التالية:

-"لا تخافي أنتِ في أمان ما دمتُ بجانبك!"

****

دقق مراد فيما تعرضه كاميرات المراقبة الخاصة بالمقهى، والذي تظهر فيها مليكة وهي تدخل إليه برفقة خالد، جلسا على إحدى الطاولات ثم بدءا بحديث هادئ تخلله

تناول بعض الطعام، قبل أن يتبدل حال مليكة كلياً وتظهر على وجهها علامات الانزعاج الشديد ثم تدخل في وصلة بكاء حاد، فاقترب منها خالد وظل يتحدث معها محاولاً تهدئتها قبل أن يدور بينهما جدال متواصل استمر طويلاً حتى اتخذت مليكة قرارها بمغادرة المقهى وتبعها خالد بعد أن دفع الحساب.

أوقف مراد الفيديو وهو يدقق النظر، مشيراً بإصبعه إلى شخص يجلس على طاولة قريبة من باب المقهى، ما أن عبره خالد، حتى التفت ليتحقق من خروجه، صاح مراد ذاهلاً:

-"إنه زياد!"

اقترب آدم وقد اتسعت حدقتاه هو الآخر من المفاجأة ونظر إلى الساعة المسجلة في الفيديو والتي كانت الواحدة وأربع وخمسون دقيقة أي قبل لقائه بسليم بنحو ساعة تقريباً، تابع مراد تشغيل الفيديو ليجدا زياد يخرج هاتفه ويجري مكالمة ثم طلب دفع الحساب وغادر مسرعاً هو الآخر!

****

داخل السيارة وفي أثناء العودة إلى مكتب التحقيق:

علق آدم قائلاً:
-"ما الذي كان يفعله زياد في المقهى؟ وجوده يثبت كذبه في التحقيق ويفتح باباً جديداً من الاحتمالات تزامناً مع إثبات صدق مليكة فيما قالته"

هز مراد رأسه موافقاً، وهو يعقب بقوله:

-"لا يبدو أبداً أنها كانت على علم بشيء قبل يوم الحادث، وهذا يؤكد أنها ليست من قابلت حسين، وبالطبع ينفي وجود اتفاق مسبق بينها وبين عبد التواب بخصوص تأجير المستودع لتنفيذ الجريمة"

تابع آدم:

-"وبالتالي عبد التواب ليس القاتل وكل ما قاله كان غرضه ابعاد التهمة عن مليكة"

-" من المستفيد من قتله على هذا النحو؟"

صمت مراد لوهلة قبل أن يستطرد حديثه:

-" فرح هي الوريث الوحيد لكنها لا علم لديها بشأن مليكة وكانت تعيش أهم فترة في حياتها وتوشك على تحقيق حلمها الذي طال انتظاره وتبدأ في إجراءات تبني الطفل الذي يمثل لها بداية مرحلة جديدة في حياتها مع خالد، من غير المنطقي أن تقوم بقتله في وقتٍ كهذا،

وزياد كان يعتمد مادياً على خالد وهذا أيضاً يتعارض مع وجود دافع لقتله أو التحريض على ذلك، لكن كذبه في التحقيق وتواجده في المقهى ثم لقاءه مع سليم يوم الجريمة يثير الكثير من الشكوك حول ما يخفيه!"

لمعت عينا مراد وقد طرأت في عقله فكرة من شأنها كشف حقيقة ما يخفيه زياد، فأسهب في الحديث وهو يشرح لآدم ما سيفعله خلال الساعات القادمة!

****

سرت قشعريرة باردة في جسد زياد وهو يرى اسم آدم على شاشة هاتفه، فأجاب اتصاله بصوت يشوبه القلق، بادره آدم بقوله:

-"أردت إخبارك بنفسي، لقد توصلنا إلى قاتل خالد، إنه عبد التواب وابنته مليكة، عرفا بعدم انفصاله عن زوجته وقتلاه انتقاماً منه، لقد تم القبض عليهما واعترف عبد التواب بجريمته"

ارتفع حاجبي زياد في دهشة ممزوجة بالفرحة الغامرة، وأجابه متظاهراً بالحزن:

-"معقول! عبد التواب ومليكة، يا إلهي يا لها من فاجعة، رحمك الله يا صديقي ما كان يخطر ببالك أن يفعل ذلك بك أكثر إنسانه أحببتها في حياتك"

-"نعم أنت محق، ولكنه طبع البشر الغضب يعمي البصيرة ويفقد الإنسان صوابه، عندما عرف عبد التواب بأمر عدم انفصال خالد عن زوجته جن جنونه فرسم خطته وفعل ما فعله".

أنهى زياد حديثه مع آدم واستغرق في تفكير عميق لوهلة قبل أن يمسك بهاتفه ويتصل بسليم ليخبره بما عرفه، أجابه ذلك الأخير قائلاً:

-"يا لك من محظوظ! خطتك تسير بأفضل مما توقعت، أصبح الطريق ممهداً أمامك، وثروة خالد كلها ستكون بين يديك، إن نجحت في الزواج من فرح كما تخطط أن تفعل"

ضحك زياد في زهو:

-" هل لديك شك من أني سأفعلها قريباً جداً، لقد أهدانا عبد التواب تلك الثروة بأسرع مما توقعت باعترافه المفاجئ"

-"لا تنس اتفاقنا لا يزال قائماً!"

-"بالطبع لن أنسى! اتصلت خصيصاً لأخبرك بذلك أعدك بمجرد أن تنجح خطتي سيكون المبلغ كاملاً في حسابك البنكي!"

وكانت تلك المكالمة دليلاً واضحاً على الدافع الحقيقي وراء الجريمة التي أصبح زياد المتهم الرئيسي فيها بعد أن استمع كل من مراد وآدم إلى كل حرف قيل فيها، وكانا قد حصلا على إذن رسمي بمراقبة هاتف زياد وتسجيل مكالماته!

****

جعل زياد يصرخ كالمجنون بأنه بريء وهو مقيد بالأصفاد ورجال الشرطة يدفعونه ليتابع سيره نحو مكتب مراد، الذي استقبله بنظراتٍ شامتة، قبل أن يخرسه بصيحة هادرة:

-"أنت متهم رسمياً بالتدبير لقتل المجني عليه خالد حمدي! أنا في انتظار الاستماع إلى تفاصيل جريمتك، سبب تواجدك في المقهى الذي التقى فيه خالد ومليكة قبل مقتله بساعتين وسبب التقائك بسليم بعدها، وليكن بعلمك لقد استمعنا إلى حديثك مع سليم الذي اعترفت فيه برغبتك في الاستيلاء على ثروة خالد بالزواج من أرملته، وهذا دافع قوي لارتكاب الجريمة بعد أن فشلت في الحصول على المال منه في الفترة الأخيرة، لاحظ أن أية محاولة للمزيد من الأكاذيب ستثبت الجريمة عليك لا أكثر!"

صاح زياد في ذعر:

-"أعترف بأنني كنت أحاول إبعاده عن مليكة عقاباً لها على منعه من إعطائي المال في وقت كنت في أمس الحاجة إليه، لكن أقسم لك بأنني لا علاقة لي بمقتله!

أنا من قمت بإرسال الرسالة إلى عبد التواب أخبره فيها بحقيقة عدم انفصال خالد عن زوجته، أردت أن يتشاجرا ومن ثمَّ يجبر ابنته على تركه، وعندما حدث ذلك بالفعل، توقع خالد أنني الفاعل فاتصل بي وتشاجر معي بعد أن طرده عبد التواب من منزله ليلة الجريمة، وأخبرني بأنه سيلتقي مليكة غداً ويخبرها بالحقيقة بنفسه وبأنه على يقين من أنها لن تتركه وتوعدني بأن خطتي ستفشل، حتى أنه تحداني بالتواجد في المقهى لأرى ما سيحدث بنفسي، ذهبت إلى هناك قرابة الساعة الثانية عشر تلبيةً لرغبته هو، لكن الأمور لم تسر كما توقع، ورأيت جداله مع مليكة فلم أجرؤ على الانصراف حتى تركته مليكة وغادرت، وما أن شاهدته يلحق بها حتى سارعت بالاتصال به لأحذره من عبد التواب، إن رأى ابنته على تلك الحالة فلن يدعه وشأنه وحتماً سيؤذيه، لكنه لم يجب الاتصال، أنهيت دفع الحساب بعدها غادرت المقهى خلفه فرأيته يركب سيارة أجرة انطلقت مسرعة، تعجبت كونه لم يستقل سيارته، وتعجبت أكثر حينما رأيت مليكة تسير بعيداً في الاتجاه المعاكس، ثم فوجئت باتصال من سليم مديره في العمل كان في حالة من الغضب الشديد، وطلب مني أن أترك عملي وأحضر لمقابلته في الحال، لم يكن يعلم بوجودي في مكان قريب من الشركة في ذلك الوقت، أخبرته أن يقابلني في مقهى آخر خشية عودة خالد، وفي أثناء انتظاري لسليم أعدت الاتصال بخالد مراراً دون رد، فاتصلت بيحيى زميله أسأله إن كان قد ذهب إلى العمل فأخبرني بأنه لم يأت اليوم مطلقاً، ثم وصل سليم وتشاجر معي لأنني كنت قد أخذت منه مبلغاً من المال منذ فترة ولم أتمكن من رده"

قاطعه مراد في انفعال جارف:

-" حذرتك من الكذب والمراوغة وإخفاء الحقيقة، ما علاقتك بسليم لتأخذ منه المال؟ ومقابل ماذا؟"

ارتجف جسد زياد على نحوٍ لا فت وشحب وجهه ثم تنهد في استسلام وهو يجيبه بصوتٍ مرتجف:

-"منذ فترة فوجئت باتصال من سليم يطلب مقابلتي، تعجبت بعض الشيء فعلاقتي به لا تتعدى اللقاء في مناسبتين خاصتين بمليكة وخالد، لكنني استجبت لطلبه والتقينا فدار بيننا الحوار التالي:

قال سليم بنبرة تحمل حقد واضح:

-"أعلم أن علاقتك بخالد ليست في أحسن حالاتها مؤخراً، رأيت الشجار الذي دار بينكما قبل بضعة أيام عندما جئت لمقابلته في الشركة"

انعقد حاجبي زياد وأجابه في عدم فهم:

-"وما شأنك أنت؟"

ابتسم سليم في مكر وهو يتابع حديثه:

-" أنت في حاجة للمال الذي منعه عنك خالد، مليكة أخبرت زميلاتها بذلك فهي تكرهك كثيراً، وعرفت أنا كل شيء بطريقتي الخاصة، أنا أعرض عليك دفع المبلغ الذي تحتاجه والآن إن أردت!"

تهللت أسارير زياد وتساءل بدهشة امتزجت مع الفرحة الغامرة وقال متسائلاً:

-"والمقابل؟"

اتسعت ابتسامة سليم وهو يجيبه:

-" ستساعدني في تلقين صاحبك درس لن ينساه!"

ثم استطرد حديثه:

-" أنت تعرف كل شيء عن خالد أسراره كلها بين يديك، أريدك أن تفعل شيء من شأنه أن يذله ويفضحه في الشركة"

فكر زياد لوهلة ثم برقت عيناه وقال بابتسامة شيطانية:

-"لدي فكرة ستذهلك لكني لن أفصح لك عن أية تفاصيل، أريدك أن تتفاجأ مباشرةً بما سيحدث"

-"لا بأس لك ذلك! لا يهمني ما ستفعله المهم النتيجة"

قاطعه زياد في صرامة:

-"لكن هناك طلب مهم ستكون أنت المسؤول عن تنفيذه، أريد أي شيء يخص مليكة"

سأله سليم متعجباً:

-"شيء مثل ماذا؟"

-"هذه مسئوليتك أنت إن نجحت في إحضار شيء يخص مليكة فسأنفذ طلبك!"

*****

مضت عدة أيام قبل أن يتصل بي ويخبرني بأنه نجح في فعل ما طلبته، التقينا وأعطاني فردة حلق مليكة، فقد طلب من عامل النظافة مراقبتها وإحضار أي شيء يخصها دون أن يراه أحد مقابل مبلغ من المال، حتى وجد العامل فردة الحلق خاصتها ملقاة على الأرض في أحد الأيام التي غادرت فيها مستعجلة، ثم أعطاني المال الذي أحتاجه، ووقعت على وصل أمانه بالمبلغ، على أن آخذه منه بعد التنفيذ.

ذهبت لزيارة خالد في منزله، وتعمدت إسقاط الحلق في مكان تراه فرح زوجته ورأيتها بنفسي وهي تأخذه وتحدق فيه قبل أن تخفيه في جيبها، كان ذلك هو الجزء الأول من خطتي، زرع الشك، وبعدها بيومين أرسلت لها رسالة من رقم لا تعرفه مكتوب فيها:

"خالد على علاقة بفتاة تعمل معه في الشركة واسمها " Maleka"

تعمدت كتابته باللغة الإنجليزية حتى ترى أول حرف من اسمها وتربطه بالحلق، لكني لم أشأ الإشارة إليه حتى لا تشك أنني وراء الأمر وتخبر خالد فأفسد الخطة، كنت أريد دفعها للذهاب إلى الشركة والتأكد بنفسها.

لكنها فعلت عكس ما توقعت تماماً، حظرت الاتصال والرسائل من ذلك الرقم الذي أرسلت إليها منه، ولم تحاول حتى الاتصال أو الرد برسالة لتسأل أو تتحقق مما أخبرتها به.

انتظرتُ عدة أيام لعلها تذهب إلى الشركة أو تبدي أي ردة فعل لكن بلا جدوى لم يحدث شيء على الإطلاق، حتى أنني قمت بزيارتهما ثانية بعد مرور قرابة

الاسبوعين فوجدت علاقتهما طبيعية تماماً، تسلل اليأس إلى قلبي واعترفت بفشل خطتي، وفسرت ذلك بأنها لم تشأ إفساد الأمور بينهما ثانيةً حتى تحصل على مرادها ويتم تبني الطفل كما تتمنى، فقد كانا على خلاف شديد لفترة من بعد أن أخبرها خالد برغبته في الزواج وبالكاد تصالحا بعد أن قرر خداعها وأخبرها بموافقته على تبني الطفل!

فغيرت خطتي وقمت بإرسال الرسالة إلى عبد التواب، لم يكن ذلك ما أردته في البداية لكن لم يخطر ببالي شيء آخر، تمنيت أن يذهب إلى الشركة ويتشاجر مع خالد ليحصل سليم على مراده، لكنه انتظره حتى خروجه وقام بمراقبته إلى أن وصل إلى منزله وتحقق من وجود زوجته أولاً ثم تشاجر معه هناك!

ويوم الجريمة حينما لم يذهب خالد إلى عمله وتجاهل تهديد سليم، استدعاني ليصب جام غضبه علي ويهددني إن لم أنفذ الاتفاق في أقرب وقت سيقوم بسجني"

شعر مراد بأن تفكيره قد شُلَّ لوهلة وسأله في خفوت:

-"ماذا فعلت يوم الحادث بعد لقاءك بسليم؟"

-"بعد أن انتهى لقائي بسليم، أدركت أنني في ورطة كبيرة، فكرت في أن أحاول استجداء عطف خالد لعله يعطيني المال فأدفعه إلى سليم وأنهي الأمر، لكن علاقتنا في أسوأ حالاتها خاصةً بعدما حدث ذلك اليوم مع مليكة وشكه في أنني السبب، عدت إلى منزلي منهك القوى كنت في حاجة لنيل قسط من الراحة ومن ثم التفكير فيما سأفعله، ثم جاءني اتصال فرح والباقي حدث كما تعرفه.

وبعد الحادث بأيام خطرت ببالي فكرة أن ثروة خالد ستذهب حتماً إلى فرح، ففكرت في أن أمامي فرصة ذهبية للحصول عليها إن تمكنت من الزواج بها، وأخبرت سليم بخطتي حتى يمهلني بعض الوقت لأرد له ماله قبل أن يسلم إيصال الأمانة إلى الشرطة كما هددني، أقسم لك أن هذه هي الحقيقة بكل تفاصيلها، لكن ليس لي أي علاقة بمقتل خالد!"

اعتصر مراد قبضته في غيظ وهوى بها على سطح مكتبه مستمتعاً بذلك الألم الذي اجتاح يده، وكأنه يعاقب نفسه على تأخره كل ذلك الوقت ليعرف أخيراً من القاتل!

الجزء العاشر

أمر مراد بحبس زياد على ذمة التحقيقات وجلس غارق في بحر أمواج متلاطمة من الأفكار وهو ينظر إلى الحلق، تطلع إلى آدم الذي قال في ثقة:

-" فرح قتلت خالد!"

هز مراد رأسه موافقاً، وهو يغمغم:

-" نعم! فزياد لا علم لديه بشأن الحلق الذي وجدناه في ملابس القتيل، هذا يفسر كل شيء، فرح هي من التقت بحسين وتعمدت ذكر اسم مليكة لتورطها في الأمر، وهي من وضعت الحلق في ملابس خالد لتثبت الجريمة عليها، لازلت أحاول التصديق، كيف لها أن تخطط وتفعل كل ذلك بمفردها؟!"

****

رنَّ جرس باب شقة فرح، فارتعدت في فزع خشية أن تكون عمتها سلوى قد عادت فلا أحد آخر يمكن أن يزورها في وقتٍ كهذا، تحركت نحو الباب بخطوات متثاقلة وكأنها تهرب من معرفة القادم، ثم تراجعت للخلف عدة خطوات حينما نظرت من العين السحرية ورأت مراد وآدم يقفان في انتظار أن تفتح الباب وخلفهما عدد من رجال الشرطة، بيد مرتجفة فتحته وبذلت جهداً خرافيا لتحافظ على تماسك أعصابها وهي تسأل مراد:

-"ما الأمر سيادة المحقق؟!"

أجابها في هدوء ممتزج بالجدية:

-"نحتاج الحديث معك في أمرٍ طارئ!"

فتحت الباب على مصراعيه فدخلا وجلسا على الأريكة، وجلست فرح على كرسي مقابل لهما وجسدها يرتجف دون توقف وقد بدا أنها تفقد السيطرة عليه على نحوٍ ملحوظ، أخرج مراد فردة الحلق من جيبه ووضعها أمامها على الطاولة المقابلة لها، شحب وجهها وتراجعت منه الدماء فبهت واصفر، تظاهرت بالنظر إليه في استغراب ثم سألت:

-"ما هذا؟"

لم تتغير ملامح مراد الجامدة وهو يجيبها:

-"حلق ذهبي تم العثور عليه في ملابس خالد، ولا أعتقد سيدة فرح أنها المرة الأولى التي ترينه فيها فقد اعترف زياد بأنه من أحضره إلى هنا وتأكد من أنكِ رأيته وقمت بإخفائه في جيبك"

زاغت عيناها وهي تنظر إليه وتجمدت الكلمات في حلقها وشردت بعيداً فلم تنبس ببنت شفة، ثم انخلع قلبها من مكانه مع صيحة مراد:

-"أنت من وضعتِ الحلق في ملابس خالد بعد أن قتلتيه لتورطي مليكة في الجريمة، لقد انكشف أمرك سيدة فرح"

وضعت فرح يديها على أذنيها محاولةً التوقف عن سماع حديث مراد، واعتصرت عينيها بقوة في محاولة للهروب من الواقع، وبدت وكأنها سقطت في بئر سحيقة من الأفكار، خيم عليهم الصمت الحذر لوهلة ثم ما لبثت أن انهارت فتبدلت ملامح وجهها وجعل تصرخ في جنون:

-"نعم أنا قتلته، فعلت ذلك قبل أن يقتلني هو! كان دفاعاً عن نفسي دفاعاً عن قلبي وسعادتي ومستقبلي، هو أعطاني كل شيء وقرر في ثانية واحدة أن يسلبه مني"

ثم خفت صوتها وهي تتابع في تأثر:

-"كان سيتركني عاجلاً أم آجلاً، لقد اتخذ قراره وأنا أعرفه جيداً لم يكن ليتراجع أبداً، كان ينقصه الجرأة الكافية لفعل ذلك لا أكثر، زوجة أخرى وطفل كانا كفيلان بمنحه إياها، شعرت بوجود امرأة أخرى في حياته منذ فترة قبل أن يصارحني برغبته في الزواج، ولم تنجح محاولاته لإقناعي بأن فكرة الزواج غرضه منها الإنجاب فقط، بل كانت تأكيداً لشكوكي، وحينما عثرت على الحلق أيقنت بأنني كنت محقة!

ظننت أنه كان عالق في ثيابه وسقط في المنزل، ثم جاءتني تلك الرسالة لتخبرني عنها، اعتقدت أنها هي من فعلت ذلك أرادت استفزازي لتفسد الأمور بيننا وتحصل عليه وحدها، اكتفيت بالصمت وفكرت كثيراً، ثم تمكنت من فتح هاتفه ووضعت له برنامج يمكنني بواسطته تتبع مكانه في أي وقت، وقمت بملاحقته ومراقبته رأيت

بعيني كيف يعاملها ويتحدث معها، عرفت أنني بدأت أتلاشى من قلبه، سينتهي كل شيء قريباً، ثم كانت الصدمة التالية لقد تأخرت كثيراً فقد علمت أنها خطيبته بالفعل!

خطر ببالي أن أواجهها لأفسد عليهما زواجهما، لكنني تراجعت وأدركت بأنها فكرة غبية فهي قد سبقتني وأرسلت إلي تلك الرسالة لتخبرني بنفسها، مما يعني أنها تعرف بذلك ولا مانع لديها، فأنا ليس لدي أطفال والمعركة معي لن تكون صعبة إن أنجبت هي، وسأخسر كل شيء وستربح هي كل شيء!

مررت بأيام قاسية لم يجد النوم فيها سبيلاً إلى جفوني، شعرت بالوحدة واليأس وجدت نفسي ذاهبة إلى عمتي سلوى، لا أعرف لماذا؟ بل أنني لم أفهم كيف طرأت تلك الفكرة ببالي، وكأن شيء في أعماقي كان يريد إخباري أن إجابة تساؤلاتي تكمن هناك، بداخل ذلك البيت الكئيب، تحديداً عند تلك المرأة المجنونة متحجرة المشاعر والأحاسيس قاسية القلب من أذاقتني الويلات قديماً وقتلت زوجها بدم بارد، وكأن نفسي اشتاقت لأذاها وجنونها، لم ترحب بوجودي لكنها لمحت ذلك الجانب السادي الذي غرسته فيّ ولم أكن أعلم بوجوده مسبقاً، قرأت أفكاري وفهمت ما يدور في عقلي قبل أن أفهمه أنا، قالت لي وهي تغمرني بتلك النظرة المبهمة:

-" لم تأت إلى هنا إلا ليقينك بأن باب خالد على وشك الانغلاق في وجهك، جئت تبحثين عن ضالتك التي يهرب منها عقلك، لكنه عرف طريقه أخيراً"

صحت في وجهها وطلبت منها أن تصمت، رفض عقلي تصديقها وركضت هاربة من ذلك المنزل، لكن تلك البذرة الخبيثة كانت تقبع في أعماقي ترافقني أينما ذهبت، حبست نفسي في غرفتي لأيام وكأني أحاول حبس ذلك الوحش بداخلي ومنعه من الخروج، بكيت طويلاً ونظرت في المرآة فلم أجدني، بل وجدت صورة سلوى تبتسم تلك الابتسامة الشيطانية التي تترجم رسالة عقلي، وقد بدأ يرسم خطته دون تردد!

الحل الوحيد هو قتله، ستنتهي كل المشاكل وأربح وحدي ثروته ومنزله، وسأتبنى "علي" ليكون ابني وحدي أعيش معه سعيدة هانئة، ظلت الفكرة تصارع مشاعري فتنتصر تارة وتنهزم تارةً أخرى، حتى جاء ذلك اليوم!

عرض لتأجير مستودع لمدة خمسة أيام، نشره أحد مشاهير وسائل التواصل الاجتماعي الذين أتابعهم، تملكتني الفكرة، مكان لا يخصني من قريب أو بعيد، مثالي

تماماً لتنفيذ الخطة، نجحت في إقناعه بتأجيره لي، ثم تعمدت إخفاء معالم وجهي وجسدي يوم لقائه حتى لا يتمكن من التعرف علي، أخبرته بأن اسمي مليكة لتكون هي المتهمة ان انكشف الأمر لاحقاً، سارت الأمور بكل سلاسة وأخذت مفتاح المستودع، ترددت في البداية ولم أجرؤ على فعل شيء في اليوم الأول، ولا الثاني حتى أنني فكرت في إلغاء الفكرة برمتها، حتى جاء اليوم الثالث وتابعت عبر التطبيق على جهازه كيف ذهب إلى منزل مليكة وبقي هناك لساعات، ثم تشاجر معي بمجرد عودته إلى المنزل وأخبرني بأنه تراجع عن فكرة التبني وطلب مني إلغاء الموعد مع دار الأيتام في مساء اليوم التالي ونسيان الأمر برمته، كان موضوع تبني الطفل هو فرصته الأخيرة لتغيير ما يدور بعقلي، لكنه ضيعها وأجج نيران الغضب والحقد بداخلي، اتخذت قراري سأنفذ غداً!

نزل في موعد ذهابه إلى العمل صباحاً، تابعته عبر التطبيق وعرفت أنه لم يذهب إلى الشركة، بل أنه يجلس في مقهى لم يكن من الصعب التكهن أنه برفقتها، وضعت بعض الأغراض في حقيبة، وجلست في الشرفة أراقب بواب العقار، كنت في انتظار ذهابه إلى أي مشوار حتى لا يراني، لكن حدث ما هو أفضل من ذلك، مشاجرة عنيفة اجتمع فيها معظم أهالي المنطقة، وبالطبع ظل هو منغرس في قلب الأحداث يشاهدها عن كثب باستمتاع فهو يهوى التفرج على المشاجرات، يسليه ذلك كثيراً ويظل لأيام يحكي عن أحداث لم يرها أحدٌ سواه.

ارتديت عباءة بقلنسوة خاصة بخالد، نزلت بسرعة وخرجت من العمارة ولففت حولها إلى الشارع الخلفي دون أن يراني أحد، ركبت سيارة أجرة واتجهت مباشرةً إلى المقهى الذي يجلس فيه برفقة تلك الحرباء المدعوة مليكة، طلبت من السائق الانتظار، فأوقف السيارة على مقربة من باب المقهى، حتى رأيتها تغادر مسرعة عرفت أنه سيلحق بها فنزلت من السيارة ووقفت في مرمى بصره، تجمدت أطرافه حينما رآني، لم أتمالك نفسي فبكيت وركضت عائدة إلى سيارة الأجرة وطلبت من السائق التحرك، سمعته يناديني، كنت أعلم أنه سيلحق بي، وبالفعل ركب السيارة التي تحركت فور ركوبه، حاول الحديث معي وتهدئتي لكني طلبت منه السكوت وأخبرته أنني أشعر بدوارٍ شديد وفي حاجة لشرب بعض العصير، توقفنا عند محل للعصير، رحل سائق السيارة وجلسنا أنا وخالد لشرب العصير، استغليت انشغاله بإحضار كوب إضافي لي كما طلبت منه، ووضعت له في كوب العصير خاصته

جرعة كبيرة من المهدئات التي كنت أتناولها، وما أن أنهى شرب العصير وبدأ يتحدث ويبرر لي ما رأيته، حتى استوقفته وطلبت منه مرافقتي لأريه شيئاً أولاً سأخبره عنه حين وصولنا، أوقفنا سيارة أجرة أخرى لأنه كان قد ترك سيارته أمام المقهى، واتجهنا إلى المستودع طلبت من السائق إنزالنا عند أول الشارع، رفعت طرف شال صغير كنت قد لففته حول رقبتي ليغطي وجهي كاللثام ورفعت القلنسوة فوق رأسي، تجاهلت دهشة خالد وتساؤلاته عما أفعله حتى وصلنا إلى المستودع، كان تأثير المهدئات قد بدأ يظهر عليه رأيت قواه تنهار وجعل يترنح، ارتديت قفازات بلاستيكية ثم دفعته، كان من السهل طرحه أرضاً وتقييده، أخرجت السكين من حقيبتي ثم أخذت هاتفه وأغلقته ووضعته في جيبي، و بكل غل وغضب الدنيا ضربته وجررته على الأرض، بعدها أمسكت بالسكين وهويت على رقبته ثم على جسده حتى تأكدت بأنه قد مات!

في تلك الأثناء شعرت بحركة من الباب الخلفي للمستودع التفت فوجدت ذلك التافه حسين يمسك بهاتف ويحاول تصويري، لا أعلم إن كان قد نجح في ذلك، ما أن التفت إليه حتى سقط الهاتف من يده فالتقطه وجعل يركض بأقصى سرعته، ما كنت لأتمكن من اللحاق به، كما أن فعل ذلك كان ليكشف هويتي، ارتبكت كثيراً لكني فكرت في أن لا شيء يثبت صلتي بما يحدث فكل ما يعرفه عني أن اسمي "مليكة"! ارتحت لتلك الفكرة وحدثت نفسي بصوتٍ مسموع:

-"أنتِ سلوى ولست فرح!" انتابني شعور بالزهو ثم أكملت خطتي، أنا لا أقوى على حمل الجثة ولا يمكنني الخروج بها، وكان قد لفت نظري ذلك المنشار الكهربائي في اليوم الذي أجرت فيه المستودع، أخرجته من الدولاب وقطعت جثته، ثم وضعتها في الأكياس السوداء التي أحضرتها معي، ولم أنس الخطوة الأهم تثبيت الحلق في ملابسه، ثم ربطت الأكياس ووضعتها جانباً، أمسكت بخرطوم الماء وجعلت أنظف كل شيء من حولي، ثم أعدت المنشار إلى مكانه، وكذلك السكين الكبير لم أنس غسله جيداً وأعدته إلى حقيبتي، ثم وضعت مفتاح المستودع على الأرض وخرجت من الباب الخلفي بعد أن أخرجت الأكياس الواحد تلو الآخر، خلعت العباءة ووضعتها في كيس منفصل بداخل حقيبتي بجوار السكين، ثم ارتديت نظارة شمس وكمامة طبية، بعدها غادرت المستودع، وقفت في حيرة من أمري ماذا سأفعل الآن؟ كيف سأنقل تلك الأكياس إلى مكان آخر، لا يمكنني حملها وحدي ولا أجرؤ على

وضعها بداخل سيارة أجرة، في تلك الأثناء سمعت منادياً على عربة يجرها حصان منهك، ينادي لجمع الأغراض القديمة يصيح مراراً قائلاً: "روبابيكيا!"

تحركت نحو المبنى المهدم الملاصق للمستودع، وكانت عربة جمع "الروبابيكيا" قد اقتربت، تقدمت بضع خطوات نحو الرجل العجوز الذي يقود العربة وقلت في توسل:

-"أحتاج المساعدة فمعي قمامة بحاجة إلى رميها في مكب النفايات ويصعب عليا نقلها بمفردي، هل تسمح بنقلها على عربتك إلى هناك وسأعطيك المبلغ الذي ستطلبه"

حدق فيّ الرجل العجوز بعينيه الذابلتين اللتان أشك في كونه لا يزال يرى بهما، ثم تبادل مع صبي يجلس بجواره نظرة طمع، قبل أن يقول:

-"سآخذ على كل كيس 100 جنيه"

لم يكن لدي خيار فقبلت وأعطيته المال، قام الصبي بوضع الأكياس على العربة الخشبية وسط الأغراض وتحركا، وتحركت أنا مسرعة في الاتجاه الآخر، أوقفت سيارة أجرة ثم عدت إلى المنزل، لكني نزلت في الشارع الخلفي للعقار الذي أسكن فيه، اتصلت بالبواب وطلبت منه إحضار بعض الأغراض لأضمن خروجه من العمارة ولأثبت تواجدي في شقتي أيضاً، راقبته من بعيد حتى تأكدت من ذلك ثم دخلت مسرعة إلى شقتي وبدلت ملابسي، عاد البواب بالأغراض ففتحت له وأخذتها منه، كانت الساعة حينها تقترب من السادسة، ارتديت ملابسي وأخذت الكيس الذي يحوي الملابس التي أردت التخلص منها والسكين ووضعت بداخله هاتف خالد بعد أن كسرته، ونزلت أمام البواب نحو الساعة السادسة وعشرون دقيقة، ذهبت إلى محل الألعاب في آخر الشارع لأتظاهر بشراء لعبة للطفل الذي كان من المفترض ذهابي إليه في ذلك اليوم، لكن الغرض الحقيقي كان الذهاب إلى المصرف الصحي القريب من شارع المحلات، كان غطاؤه مفتوح كعادته ألقيت فيه الكيس دون أن يلاحظ أحد، وعدت إلى منزلي ثم اتصلت بزياد .....

****

انخلع قلبها من مكانه مع صيحة مراد:

-"أنت من وضعتِ الحلق في ملابس خالد بعد أن قتلته لتورطي مليكة في الجريمة، لقد انكشف أمرك سيدة فرح!"

وضعت فرح يديها على أذنيها محاولةً التوقف عن سماع حديث مراد، واعتصرت عينيها بقوة في محاولة للهروب من الواقع، وبدت وكأنها سقطت في بئر سحيقة من الأفكار، رأت تفاصيل جريمتها كلها تعرض أمام عينيها الزائغة وكأنها حدثت للتو، لكن لسانها تيبس فلم تنطق بحرف، رغم صراخ مراد الذي تبعه دخول عدداً كبير من رجال الشرطة يفتشون المنزل، بعد أن قيدوها ثم قاموا بالقبض عليها وأخذها إلى مقر الشرطة، وهي على نفس الحال كالتمثال تنظر إليهم بأعين ذاهلة ولا تبدي أي ردة فعل لما يحدث حولها!

أحضرت لها عمتها سلوى محامياً، فحاول طمأنتها وأكد لها أنه لا توجد أي أدلة تدينها في حين وجود شخص آخر اعترف بارتكاب الجريمة، والقانون لا يعرف سوى الأدلة، لو تمسكت بموقفها فسينتهي الأمر بخروجها قريباً!

كاد مراد يفقد صوابه وهو يحدث آدم:

-"لا يوجد أي دليل يثبت ما نعرفه، لا شيء يثبت أن الحلق كان بحوزتها، وشهادة بواب العمارة تؤكد تواجدها في شقتها وقت وقوع الجريمة، وحسين لم يتعرف عليها ولا شيء يثبت أنها من أجرت المستودع ولا توجد بصمات تخصها على الجثة أو في ساحة المستودع، لا شيء مطلقاً!

جميع المتهمين متورطين على نحوٍ ما إلا هي، لا أصدق أنها بتلك البراعة! لن أستطيع الإبقاء عليها في الحجز لفترة طويلة سينجح محاميها في إخراجها قريباً جداً إن لم نثبت ما نعرفه!

أجابه آدم في يأس:

-" للأسف لا أجد طريقاً لذلك سوى دفعها للاعتراف ولا أعتقد أن ذلك سيحدث!"

****

بعد مرور عدة أشهر.....

في أحد المنتزهات تحديداً عند أرجوحة الأطفال، وقفت فرح تلعب مع علي طفلها الصغير الذي تبنته وتعيش معه أسعد أيام حياتها بعد أن تراجعت عن فكرة تسميته خالد، لكن الأرجوحة توقفت فجأة، لتلتفت في استغراب، نحو ذلك الشخص الذي مد يده وأوقفها، تضاعفت دهشتها حينما وجدته المحقق مراد ينظر إليها في تحدي قائلاً:

-" استمتعي بوقتك قدر المستطاع سيدة فرح فالقادم لن يكون سعيداً بالنسبة لك!"

استجمعت قواها ثم ابتسمت في سخرية وهي تجيبه بنبرةٍ هازئة:

-"لا أعتقد ذلك سيد مراد، القضية انتهت والجاني اعترف بجريمته لا أفهم سبب إصرارك على إنكار الحقيقة"

ضحك ساخراً:

-"الحقيقة التي تعرفينها جيداً وأعرفها أنا أيضاً! لكن هناك مفاجأة لم تكن بحسبانك لقد عثرت على طرف الخيط!

جملة قالها زياد كنت قد أغفلتها:

"غادرت المقهى خلفه فرأيته يركب سيارة أجرة انطلقت مسرعة، تعجبت كونه لم يستقل سيارته، وتعجبت أكثر حينما رأيت مليكة تسير بعيداً في الاتجاه المعاكس!"

كاميرا إشارة مرور في الاتجاه الذي وصفه زياد، مع تحديد التاريخ والوقت ومراقبة سيارات الأجرة التي مرت في الوقت نفسه عثرنا على المفاجأة سيدة فرح!

رأينا خالد يجلس بجوار السائق، وعرفنا رقم السيارة، وقد تحققنا من تواجدك فيها بالعودة إلى سائق السيارة الذي تعرف عليكِ من النظرة الأولى"

أنهى عبارته وهو يشير بإصبعه خلفها لتلفت مذعورة إلى حيث يشير، فوجدت السائق برفقة آدم ينظران إليها بمزيجٍ من الضجر والشماتة، حملت الطفل في ارتياع وجعلت تصرخ وهي تتلفت حولها باحثةً عن مهرب رغم يقينها بانعدام وجوده هذه المرة!

تمت

الكاتبة مها سيد عبد الرحمن كاتبة رواية "جزيرة عين الأرض"

وثنائية سيڤارا "مملكة سيڤارا"، "ملحمة الدماء الزرقاء".

الصفحة الرسمية للكاتبة:

https://www.facebook.com/Maha-Sayed-Abdelrahman-مها-سيد-عبد-الرحمن-1179731167136609/